الميتافيزيقا

عند أوجست كونت

دكتورة

عزة محمد مصطفى الجندي

مدرس عقيدة وفلسفة

جامعة الأزهر كلية الدرسات الاسلامية ، فرع الاسكندرية

٢٦٨١

المقدمة

الحمد لله خلق الإنسان وسواه ،وأحسن خلقه وهداه ،ومنحه من النعم فوق ما يتمناه ، قال تعالي:(قال فمن ربكما يا موسي قال ربنا الذي أعطي كل شئ خلقه ثم هدي[1] وأشهد أن لا إله إلا الله فطر الخلق علي معرفته جل علاه ،وبين أنه الدين الذي إرتضاه فقال تعالي : (فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون[2] وأشهد أن محمداًعبده ورسوله من خلقه اصطفاه وجعله رحمة مهداه ،فقال تعالي :(وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين)[3] اللهم صلي وسلم وبارك عليه وعلي أهل بيته الطاهرين و أصحابه الغر الميامين ومن تبعهم بإحسان إلي يوم الدين أما بعد :

فإن المسائل المتعلقة بالفلسفة ودراستها تفرض علي الباحث الكثير من جوانبها الدراسية والمعرفية نظراً لما يرتبط بها من النواحي المختلفة وبناءً عليه يكون التعرف علي فكر فيلسوف من الفلاسفة وعقيدته الدينية أمراً غاية في الأهمية .

بيد أن الفلسفة الحديثة والمعاصرة أوجدت هوة واسعة بين المعتقد الديني والمعرفه الإنسانية ، والدين الإلهي في أصله إقامة صحيحة للمعرفة السليمة ، فـــإذا لم يعرف الإنسان مولاه كيف يتجه إليه جل علاه .وبناءً عليه يكون من الضروري التعرف علي فكر هذا الفيلسوف أو ذاك ،ولما كانت الميتافيزيقا تحمل ما يتعلق بالله ذاتاً وصفاتاً وأفعالاً وهي التأملية وقد خلط أغلب الفلاسفة بينها وبين النقدية التي يمكن التماسها من الطبيعة وقوانينها ،ونتج عن هذا الخلط ابتعاد عن دين الله أو إلحاد فيه جل علاه ،وسارت الوضعية ومن سار علي ضربهم يخوضون هذا الغمار بكل قسوة وجرأة دعت إلي الإلحاد وحثت عليه وجعلته في مواجهة

---

[1] سورة طه آية (٤٩ ،٥٠)
[2] سورة الروم آية (٣٠)
[3] سورة الأنبياء (١٠٧)

الدين الإلهي أو هو بديل عنه ،وكان "أوجست كونت"من أصحاب هذا الإتجاه ومن ثم إخترت هذا البحث تحت عنوان "الميتافيزيقا عند أوجست كونت "وحيث أن البحث لا ينهض بين اشراقة شمس وغيبتها وإنما يتخذ مراحل عديدة فإني سأتناول ما يلي :

أولاً : أسباب إختيار الموضوع :

١- أن العقيدة الدينية قلبية يستدل عليها بالعقل والنقل ، كما يستدل عليها بالفطرة السليمة وفوق ذلك فلا يخلو الإستدلال عليها من الجوانب المعرفية أياً كانت صورتها ،ومهما كان شكلها لا يغير ذلك من الثوابت القائمة في الفطرة .
٢- أن الأبحاث المعرفية محلها العقل ،والإستدلال بالقضايا العقلية علي المسائل الغيبية يعتبر خروجاً عن القواعد المنهجية لأن الثابت عندنا نحن المسلمون هو أن العقل له ميدانه ويصعب تجاوز هذا الميدان تحت أي مسمي من المسميات ومع أن العقل نعمة إلهية إلا أن حـــــــدوده لا تمكنه من تناول المسائل الغيبية ،وبخاصة السمعيات الشرعية،يدل عليه أن السمعيات هي الأمور التي لا سبيل لإثباتها سوي المعصوم وحده .

٣- أن تناول الفلسفة للميتافيزيقا من خلال نظره لم تنل الإجماع المعرفي تعتبر نظرة قاصرة ،فإذا تبنت تلك النظرة معلومات غير صحيحة فقد وقعت في جملة من الأخطاء المنهجية ، التي تجعل كل باحث يتخلي عن نتائجها ولا يتمسك بها وبناءً عليه يكون عمل الفيلسوف داخل في نطاق العبث أو اللامعقول ، وهو ما نحاول الخروج عنه .

١- أن الفلسفة الحديثة اعتبرت الميتافيزيقا التأملية المتعلقة بالله تعالي من قبيل العبث أو الامعقول باعتبار أنها غير محسوسة من نـــــــاحية ، ولأنهم قصروا جهودهم علي الحسية من جهة أخري ،وقد ترتب عليه تحول الألوهية من عقيدة دينية إلي فكرة إنسانية ، ومن المؤكد أن هذا التحول ستكون له نتائج سلبية

ليس علي المفكر وحده ، وإنما علي العقيدة والمفكر معا ، لأنه سيكون بين أمرين :إما تمسك بعقيدة دينية ،وإما تمسك بأفكار فلسفية ، فإن تمسك بالعقيدة الدينية تحققت له نتائج إيجابية . أما إذا إختار الطريق الآخر فقد وقع في أخطاء عقدية ومعرفية معا .

٢- أن الفلسفة الحديثة والمعاصرة أياً كان الشق الذي تأوي إليه ، والطريق الذي تختاره ،لو قصرت أمرها عليه من الناحية المعرفية ما كانت هناك مشكلة خلافية ، أما أنها تعرضت للعقيدة الدينية واعتبرتها المحك الذي تقبله أو ترفضه ،فقد بات النزاع معها واجب شرعي تفرضه عقيدتنا الدينية ،حتي يقوم كل فرد بأداء واجبه علي ناحية صحيحة تؤدي إلي الدفاع عن العقيدة وتقريرها ،بلغة معاصرة قابلة لإحداث العديد من التغييرات في نفوس الذين تعرض عليهم ويتم لهم التمسك بها

٣- أن هذا البحث لم تسبق دراسته من تلك الناحية كما لم أقف عليه ، وبالتالي فأري أن دراسته يمكن أن تملأ فراغاً في المكتبة الإسلامية كما تمهد لبناءات وأنساق معرفية جديدة تصب كلها في خدمة العقيدة الإسلامية وتحقق الوفاق لكافة أفراد الإنسانية .

ثانياً : منهجي في البحث :

المنهج هو الطريق الذي يسلكه الباحث من المقدمات للنتائج، بغرض الوصول إلي الغايات المشروعة، ومن ثم تعددت المناهج بين نظرية وعملية ،سلوكية وتجريبية ،وتنوع كل منها إلي ما هو أبعد أو أدني وذلك من شأنه إحداث طفرة في الوثائق المرجعية ، ويعبر عن نوع من إلتماس الحقيقة في لغة منضبطة داخل أصول معرفية ، ولما كان هذا البحث يتناول بعض الجوانب النفسية للفيلسوف ،والمعرفية للأفكار ،والتاريخية للمطالع والمقاطع ، فقد تعددت الصور التي يستخدم فيها المنهج ، ومن هنا كان إختياري للمنهج المتكامل وهو الذي يقوم علي اختيار ما يتناسب مع كل جزئية علي حدة ، فإذا كانت تلك الجزئية مردها إلي التاريخ تعاملت معه ،وإذا كان مردها إلي النقد أخذت به ، وهكذا فإني أري

المنهج المتكامل هو الذي يصلح لتلك الدراسة، من حيث أنه ينطوي بداخله العديد من المناهج .

ثالثاً : الأهداف والغايات :

إذا كان الهدف هو ما يوصل إلي المطلوب ، فإن الغاية هي بمثابة المحافظة علي ذات المطلوب ،ومن هنا تأتي الوسائل لتكون بمثابة المهيئات والممهدات للهدف ،فلا يخلو أي هدف من وسائل ، ولا يخلو هدف من الوصول إلي غايات ، ومن ثم فإن أبرز الأهداف والغايات التي ترجي من هذا البحث هي :

١- إثبات أن العقيدة الإلهية مصدرها الوحي المعصوم ، وأن الأفكار الفلسفية مصدرها العقل بكل ما يحتويه من توافق وتناقضات ،من أسس ومشكلات تدور كلها في نطاق العقل .
٢- التعرف علي أصول العقيدة من الكتاب والسنة ،وبيان أن التارك لهما قد نفض عقله وقلبه عن المصادر الصحيحة ،فلا يلتفت إليه ،ويجب أن يتم التعامل معه وأفكاره علي ذات الناحية من الإهمال وعدم الإعتداد .
٣- بيان أن الميتافيزيقا التأملية المتعلقة بالله والذات والصفات والاسماء والأفعال حقيقة واقعية ، بل هي من مظاهر العقيدة الإيمانية ، الممسك بها مؤمن ، والمنكر لها ملحد ، أما الميتافيزيقا النقدية فأفكار معرفية تدور بين الصواب و الخطأ ، وليس بين الإيمان والكفر .
٤- أن الوضعية لا تمثل أي جانب ديني ، وإنما هي نسيج فكري صحيحه علي ناحية الشرع يقبل ، وفاسده من تلك الناحية يرد .
٥- التأكيد علي أن الممارسات التي تدور في الغرب بالنسبة للدين ، يصح أن يكون في مرماها الدين المسيحي فقط ، وليس مطلق الدين ، لأن الدين المسيحي القائم بين أصحابه اليوم يعبر عن وجهات نظر إنسانية ولا علاقة له بالشريعة الإلهية . إنه دين الكنيسة أقامه آباؤها ومارسه ضد مخالفيهم محاكم التفتيش التي تمثل صورة من صور الإنتهاك لحريات الإنسان الأساسية وتعبر في ذات الوقت عن نزعة إنسانية سلبية .

رابعاً : المشكلات البحثية :

يعتبر البحث في الفلسفة الحديثة مشكلة متعلقة بها لأسباب منها :

١-أن اللغة التي كتبت بها تلك الفلسفة قد تكون روسية أو صينية ، وقد تكون لغة أوربية انجليزية أو فرنسية أو ألمانية وهذا في حد ذاته يمثل أحد الصعوبات الأساسية ، وأعني بها صعوبة قراءة النصوص الفلسفية في لغاتها التي كتبت بها .

٢-أن المؤلفات التي وصلت لهؤلاء الفلاسفة، بعضها يعبر عن السير الذاتية ، وبعضها يعبر عن وجهة نظر في مسائل حيوية ، وقليل منها هو الذي يتعلق بالجوانب الميتافيزيقية .وحين تناول الميتافيزيقا عند شخص بذاته قد لا نستطيع التفرقة بين هذه الجوانب وذلك مما يمثل مشكلة بحثية

٣-أننا غالباً ما ننتصور الغربيين علماء ونضعهم في هذا المستوى،حتي ولو كانوا من سفهاء القوم ، أو من دعاة العبث والامعقول ، وحينئذ نحاكم قوماً ليسوا في موضع المحاكمة ، أو نتحاكم إليهم وهم أقل من أن يقوموا بهذا الدور .وقد ترتب عليه وجود أفكار بعيدة عن أن توصف بالسلامة أو يوصف أصحابها بالنضج الفكري ، وصرنا نسود الصفحات بشأنها ونكثر أو نقل من القول حولها وكان الأولي أن تدخر تلك الجهود حتي يتم توظيفها فيما يصلح لها .

خامساً : مكونات الدراسة :

تتكون هذه الدراسة من ثلاث مباحث:

تمهيد : تحديد المفاهيم .

المبحث الأول : موقف أوجست كونت من الميتافيزيقا .

المبحث الثاني : نفد وتفنيد آراء أوجست كونت .

خاتمة البحث :وفيها أهم النتائج والتوصيات .

وأسأل الله السداد ، وأستوهبه عز وجل الإخلاص فإنه ولي ذلك وهو القادر عليه .

تمهيد

تحديد المفاهيم

أولاً "فاتحة في الميتافيزيقا":

الفكر الإنساني حلقات متواصلة ، ولبنات متكاملة ،كل يقدم فيها بقدر ما يعان عليه ،فذلك من السنن الإلهية التي عليها مدار الأمر في الحياة الدنيوية لا يختلف فيها إنسان عن آخر إلا بما يقدم من عطاء معرفي يساهم في بناء الحضارة أو يعين علي إقامة شريعة الله في الأرض . ويمهد لتحقيق السعادة الدنيوية والنجاة في الدار الآخرة ، والإنسان الواعي هو الذي يحاول إقامة علاقات بنائية بينه وبين الكون الذي يتعايش فيه ، علي الأقل من الناحية المعرفية والإنسانية . واستجابة للأوامر الإلهية التي بينت أن الإنسان مستخلف في الأرض وعليه واجب إعمارها المشارإليه بقوله تعالي : (وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة)[٤]

والتاريخ الفكري العام فيه جانب يتعلق بالنظر إلي الطبيعة[٥] وما يرتبط بها باعتبار أن الكائن الحي محاط بها ، قائم فيها ، واستعمل لها مصطلح الفيزيقا . في ذات الوقت رأي الإنسان أموراً ليست داخلة من وجهة نظره في مفهوم الطبيعة الذي اختاره لما يحيط به وأطلق عليه اسماً منحوتاً هو الميتافيزيقا[٦]

---

[٤] سورة البقرة ، آية ٣٠

[٥] استعمل الأقدمون مصطلح الطبيعة ، و أرسطو كتب مؤلفاً في جزئين تحت عنوان الطبيعة

[٦] هذا التطور في الإستعمال اللغوي والإنتقال به من الطبع إلي الوضع ،ومن النحت إلي الإشتقاق ،أحد المعالم الرئيسية في البناءات والأنساق المعرفية .راجع العلامة عبد الرحمن جلال الدين السيوطي /المزهر في علوم اللغة وأنواعها / ص ٢٨ وما بعدها /تعليق محمد أحمد جاد المولي /محمد أبو الفضل ابراهيم /علي محمد البجاوي / ط الثالثة / مكتبة دار التراث .وذلك أثناء حديثه عن قول الله تعالي :{وعلم آدم

إلا أنهم بعد إطلاق إسم الميتافيزيقا ليكون في مقابل الطبيعة أحدثوا أنواعاً من التقسيمات وأخري من التفريعات فظهرت كل من :

أولاً :الميتافيزيقا التأملية :

وهي المتعلقة بذات الله تعالي وصفاته وأفعاله.[٧]

ثانياً: والميتافيزيقا النقدية :وهي المتعلقة بمباحث ما بعد الطبيعة التي يمكن لها أن تتحقق في الواقع يوماً ما،ولذلك اعتمدوا فيها علي الخبرات الشخصية ، والجوانب الحياتية .ثم جاء المتأخرون واعتبروها نوعاً من الفلسفة تبحث عن الحقيقة الأولية للوجود .وذكروا أن أرسطو أطلق عليها إسم الفلسفة الاولي[٨] ، وعنـد النظر في الفلسفة الحديثة والمعاصرة ، برزت فكرة الميتافيزيقا النقدية وصارت هي المعول عليه في كثيرمن الجوانب المعرفية، وبات من يعتنقونها يعملون علي إبـرازها . حتي إذا لـم توجد بينهم أحدثوا وجودها وشحنوها بين السطور مفرداتها ، بغية أن تبقي قائمة برأسها.[٩]

أجل حدث انتقال تسارعت وتيرته في الفكر الغربي عي وجه العموم ، وراح من ينسبون أنفسهم للفلسفة يعملون علي إيجاد

الأسماء كلها } وبخاصة ما يتعلق باللغة من ناحية النحت والنقل والوضع والاشقاق والتركيب والتعريف وذكر آراء ابن جني وابن فارسوأساطين اللغة في هذا الجانب

[٧] راجع الدكتور سليمان دنيا / التفكير الفلسفي الإسلامي /ص ٢٥١ / مكتبة الخاجي بمصر / ط الأولي /١٣٨٧ه- ١٩٦٧م وكذلك الشيخ مصطفي صبري /موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين /ج٢ /ص٣٥ ،٣٦ / الطبعة الثانية /١٤٠١ه -١٩٨١م/ دار احياء التراث العربي/ راجع زكي نجيب محمود /موقف من الميتافيزيقا /المقدمة ص(و)،(ز) دار الشروق /ط الثانية /١٤٠٣ه - ١٩٨٣م.

[٨] راجع الموسوعة العربية الميسرة / ٣٣٠٧ /المكتبة العصرية /ط الأولي /٢٠١٠م - ١٤٣١ه /صيدا -بيروت

[٩] هذه المحاولات بدأت لدي الاولين من مفكري اليونان وغيرهم لكن لم يقدر لنا التعرف عليها إلا في وقت متأخر ، وهو الذي أمكن لنا أن نقف من خلاله علي تلك المؤلفات عن طريق الترجمة وغيرها .

مساحة واسعة للميتافيزيقا النقدية في مؤلفاتهم بقدر ما هي في رؤوسهم ، ولان الإنسان لا يستطيع أحد أن يتعرف علي ما في عقله إلا الله ، ونحن نعرف فقط ما تنقله إلينا مفرداته الكلامية ، واللغوية المنطوقة والمكتوبة ، فقد تراجع دورنا عن المتابعة حتي صارت مكتوباتهم تقفز أسوارنا وتغطي سماء أفكارنا وكانت الوضعية[١٠] هي أحد المحكات الرئسية أو المحطات المعرفية التي التقطت الميتافيزيقا وأخذت تتحدث عنها ، وعلي متنها ظهر الكثيرون ومنهم "أوجست كونت"الذي يعتبره الغربيون أحد المعالم الفلسفية في أوربا ويضعونه في مصاف مفكريهم لما قدمه من فكر رأوا أنه جدير بالقبول.[١١]

---

[١٠] معني الوضعي :"إن الوضعي من الأشياء ما وضعه الله أوما وضعه الخلق .ويؤكد" ليبنتز"هذا المعني في قوله :أن حقائق الفعل قسمان :قسم يسمي بالحقائق الأبدية ،وهي مطلقة وضرورية ،أي أن معارضتها تفضي إلي التناقض ،وقسم يمكننا أن نسميه بالحقائق الوضعية ، لأنها قوانين أراد الله أن يهبها للطبيعة ونحن ندرك هذه الحقائق بالتجربة "/ جميل صليبا / المعجم الفلسفى ج٢/ ص ٥٧٧ /دار الكتاب اللبناني ودار الكتاب المصري / بيروت – لبنان/١٩٧٩ م.

والوضعي مقابل للطبيعي ،فنقول القانون الوضعي في مقابل القانون الطبيعي .ومنه فالدين الوضعي مقابل للدين الطبيعي/.المرجع السابق / ص ٥٧٧ .والوضعي من الأشياء أيضاً هو ما كان متحققاً في عالم الحس والتجربة وإن كانت أسبابه القصوي وقوانينه التي شرعها الله وفرضهاعلي الطبيعة مجهولة لدينا /المرجع السابق / ص٥٧٧ .وقريباً من هذا المعني أطلق لفظ وضعي في فلسفة "أوجست كونت" علي الواقعي والفعلي المستقل عن الشرع الإلهي. والوضعي بهذا المعني مرادف للحقيقي ،والتجريبي ،مقابل للتأملي والخيالي والوهمي .والحالة الوضعية في قانون الحالات الثلاث مقابل للحالة الاهوتية والميتافيزيقية ./نفس المرجع /ص ٥٧٧ . والوضعية "مذهب فلسفي يقيم المعرفة علي نطاق الخبرة الحسية ،وأما ما يجاوز الخبرة فمعرفته مستحيلة أو خالية من المعني " الموسوعة العربية الميسرة /ص ٣٥٩٦

[١١] الملاحظ أن الغربيين يحاولون إعلاء أسماء علمائهم ، حتي وإن لم يكونوا يستحقون وصف العالم ، ويرفعونه درجة فوق درجة ، بل يقومون بالدعاية لأفكاره حتي وإن كانت غير مقبولة بالنسبة للإطار المعرفي ،ولست أدري لماذا يحدث العكس بالنسبة للعلماء والمفكرين المسلمين هل هي النزعة العنصرية التي يتبناها الغرب في مواجهة الشرق أم هي العلة الكامنة في نفوس بعض أبناء الشرق الذين افتتنوا بالغرب ، وساروا أبواقاً تردد له ما يعجز هو عنه من دعاية إعلامية وغيرها .

وحيث أن "أوجست كونت" قدم رأياً له فيما يتعلق بالميتافيزيقا علي وجه العموم ،أراه يمس عقيدتي الدينية وربما نال من نصوصها أو دلائلها بعض منال ،برزت آثاره في نفوس من تعلقوا به فقد رأيت من الضروري بيان موقفه من الميتافيزيقا وأيها يقبل وأيها يرد ، وهو المنهج الذي أسير عليه ، في ذات الوقت فإني أحاول إلتزام الموضوعية في عرض الآراء قدر استطاعتي حتي ولو كانت مخالفة لعقيدتي ، ثم أتناولها بالمناقشة التي تعتمد علي مقابلة الدليل بمثله بعيداً عن الأساليب التي لا مكان لها في البحث العلمي وسيكون ذلك علي النحو التالي :

ثانياً : نبذة عن" أوجست كونت :"

يعتبر الحديث عن "أوجست كونت" من الضروريات حتي إذا وصلت إلي فكره يكون البناء قد قام علي أصوله ، ومن ثم فإن حديثى عن" أوجست كونت"يدور في النقاط التالية :

١- مولده :ذهب أهل العلم إلي أن" أوجست كونت" ولد عام ١٧٩٨م وكان ذلك بمقاطعة مونبلييه جنوبي فرنسا[١٢] وبالتالي فلا يوجد محل خلاف بالنسبة لمولده تاريخياً ومسقط رأسه .

٢ : أسرته : ذكر المؤرخون أن أسرة أوجست كونت كانت ملكية ذات فروع متشعبة ، لها ارتباط بالنظام السياسي الحاكم ، وبناء عليه فقد امتدت تلك الحقوق إلي أوجست كونت نفسه ،أما ديانته فكانت الكاثولوكية المسيحية[١٣] وقامت أسرته عليها خدمة لها ،والتزاماً بها إذ كانت والدته

---

[١٢] راجع بيرد كاسيه /الفلسفات الكبري /ترجمة جورج يونس / ص ٢٩ / منشورات عويدات /١٩٨٣م.

[١٣] الطوائف المسيحية المعاصرة علي العموم ثلاثة : الأولي الكاثوليك : وهم الذين يعتقدون أنهم أصحاب المذهب العالمي وتكون قيادته في روما ممثلة في الفاتيكان ، وزعيمهم هو البابا الذي يجلس علي كرسي البابوية أياً كان اسمه ويطلق عليها من ناحية التصنيف الجغرافي الكنيسة الغربية . الثانية :طائفة الارثوذكس : وهم يعتقدون

من أوساط المذهب التقوي[١٤] وكانت هذه الام تحاول الجمع بين الفكر المسيحي القابل للتجديد، والعقل الذي يعمل علي ترتيب الأفكار وإحداث نوع من التنقل الهادئ بينهما.[١٥]

فأوجست كونت نشأ في أسرة كاثولوكية محافظة إلا أنه "في سنواته الدراسية المبكرة تخلي عن إتجاه أسرته الملكية ، وأصبح جمهوري النزعة ، يؤمن بمبادئ الحرية "[١٦]

تعليمه ونشأته : تعلم في كلية الهندسة الشهيرة في باريس في الفترة من ١٨١٤ م إلي سنة ١٨١٦ م ، ولكنه قاد حركة احتجاج قام بها الطلاب ضد أحد المدرسين ففصل من المدرسة .وذهب للإقامة مع أهله

أنهم أصحاب المذهب الحق ، وقيادتهم في الأسكندرية وزعيمهم اليوم هو البابا تواضرس ويطلقون عليه اسم الكنيسة الشرقية لتكون في مقابلة الكنيسة الغربية

الثالثة :الطائفة الإنجيلية :وهم الذين يتمسكون بنصوص الكتاب المقدس ،ويطلق عليهم خصومهم البروستانت ، ومعناه المحتجون ، والإنجليون يرفضون تلك التسمية ويتمسكون بالأولي ، وقيادتهم في المانيا ، وكنائسهم مشتركة بين الشرق والغرب ، وبينهم وغيرهم من الطوائف المسيحية ما لا يمكن إخفاؤه ولا يستطيع أحد إزالته من بينهم .راجع د .محمد حسين موسي الغزالي/ وميض النصرانية بين غيوم المسيحية /ص٣١ / ط السابعة /مطبعة المرادلي / ١٩٩٨م/ ود.علي عبدالواحد وافي / الاسفار المقدسة /ص ٣٨ / ط القاهرة / ود.زكريا عبد العظيم طلبا / الطوائف المسيحية في العالم المعاصر /ص٥١/ط مكتبة النهر الخالدة / ١٩٨٧م./راجع ر.س.زينر/موسوعة الأديان الحية /ج١/ص١٨٣، ١٠٨، ٢٢٦/ترجمةعبد الرحمن عبد الله الشيخ / الهيئة المصرية العامة للكتاب.

[١٤] المذهب التقوي من المذاهب الفكرية التي ظهرت في أوربا تدافع عن الدين المسيحي بعيداً عن الآراء الكنسية ، وكان إمانويل كانت .من أكثر المتحمسين لهذا المذهب. راجع / د.محمد أحمد المعصراوي / الفلسفة الحديثة /ص ٢١٣ / مكتبة المعصراوي /فاس المغرب /١٩٨٥ م .

[١٥] راجع محمود عوده /تاريخ علم الإجتماع /ج١ /ص٦٨/ مطبعة دار النهضة العربية /راجع أيضاً عبد الرحمن بدوي /موسوعةالفلسفة /ج٢/ص ٣١٢ / ط أولي / ١٩٨٤م ./المؤسسة العربية للدراسات والنشر .

[١٦] المرجع السابق/ج١ / ص ٦٨

فترة من الوقت ، عاد بعدها إلي باريس ،حيث عاش عيشة ضنكا من إعطاء دروس في الرياضيات.[١٧]

ولم يكن أوجست كونت قادراً علي التواصل في تلك الوظيفة ، ويبدو أنه عانا كثيراً من قسوة الحياة .وإلتقي بسان سيمون في ١٨١٧ وظل كاتباً له ومعاوناً حتي ١٨٢٢ م ، ويبدو أنهما تصارحا وأدرك كل منهما حـــاجته للآخر من الناحية الوقتية وهو ما يعرف بالصداقة المؤقتة . وقد أثر فيه إلي حد بعيد. لكن نظراً لأن كونت كان يفوقه إحاطة بالمعرفة العلمية ،وقدرة علي عرض تفكيره ، حدثت بينهما قطيعة عنيفة ،وفي ستة ١٨٢٥م تزوج زواج غير سعيد سرعان ما انتهي بالانفصال.[١٨]

وفي سنة ١٨٢٦ م صار يلقي محاضرات في كلية الهندسة ،عرض فيها مذهبه الوضعي ،كان يحضرها عدد كبير من رجال العلم . لكنه أوقف محاضراته لبضعة أشهر بسبب انهيار عقلي أصابه من فرط الإجهاد ، وفي العام التالي حاول أن ينتحر غرقاً في نهر السين.[١٩]

ولكن كونت عاد إلي إلقاء المحاضرات عام ١٨٢٩ م ، حين شفي من مرضه ، عين سنة ١٨٣٢م معيداً لمادة التحليل والميكانيكا ،وقد

---

[١٧] راجع عبد الرحمن بدوي /موسوعة الفلسفة / ج٢/ ص٣١٢ / مرجع سابق /راجع يوسف كرم / تاريخ الفلسفة الحديثة /ص٣١٧/ ط الخامسة / دار المعارف / مكتبة الدراسات الفلسفية ./راجع أيضاً الموسوعة الفلسفية المختصرة /نقلها عن الإنجليزية / فؤاد كامل /جلال العشري /عبد الرشيد الصادق/ص ٣٥٦/ راجعها د.زكى نجيب محمود /دار القلم /بيروت ،لبنان.

[١٨] راجع عبد الرحمن بدوي / موسوعة الفلسفة /ج٢ /ص٣١٢/ وراجع الموسوعة الفلسفية المختصرة / ٣٥٦

[١٩] راجع الموسوعة الفلسفية المختصرة /ص٣٥٦مرجع سابق/. راجع عبد الرحمن بدوي /موسوعة الفلسفة /ج٢ / ص ٣١٢ مرجع سابق . /راجع إميل برهييه /تاريخ الفلسفة /ج٨ /ص ٣٤١ / ترجمة جورج طرابيشي / ط الأولي / دار الطليعة للطباعة والنشر /١٩٨٥ /بيروت _لبنان .

حاول كثيراً الحصول علي كرسي الأستاذية بمدرسة الهندسة ،حيث رشح نفسه لذلك عام ١٨٣١م إلا أن محاولته باءت بالفشل ،ولم يستطع الحصول علي هذه الوظيفة ، فقضي بقية حياته علي ما كان يحصل عليه من إلقائه لمحاضرات في الدروس الفلسفية ، وعلي ما كان يأتيه علي شكل مساعدات من المعجبين بفلسفته.[٢٠]

وفي سنة ١٨٤٥م وقعت له تجربة غرامية عنيفة ، مع فتاه تدعي "كلوتيلد دي فو "وانعقدت بينهما صداقة ، سرعان ما انتهت بموتها بعد مرور أقل من عام واحد ، وقد كان تأثير هذه المرأة علي" أوجست كونت كبيراً جداً لدرجة أنه انتقل في آرائه من النقيض إلي النقيض ،فبعد أن كان في أول حياته يدعو إلي العقل، وإلي سيادة منهج العلم التجريبي وحده ، نراه في آخر حياته يمجد العاطفة ويقدمها علي العقل .[٢١] يقول د. محمود قاسم :"كان كونت يعبد هذه المرأة ، ويقدسها تقديساً حقيقياً "[٢٢] ويقول د .يوسف كرم : "فاتخذ منها مثال الإنسانية وكان يتوجه إليها بالفكر والصلاة كل يوم وصارت شيطانه الذي يوحي إليه ".[٢٣] وإلي ذلك الحين تحديداً تعود بداية حلم كونت بديانة انسانية أعلن نفسه سادنها الأول ، وكان ملهمه إياها حبه لتلك المرأة التي تحكمت ذكراها بشطر لا يستهان به من طقوسها .[٢٤]

وقد ركز كونت علي المشكلات التي يعاني منها المجتمع الذي يعيش فيه ، فاسترجع الأفكار التي قامت عليها الثورة الفرنسية

---

[٢٠] راجع زونى ايلي ألفا /موسوعة الأعلام الفلسفية /ج٢ /ص٣٠٣ ،٣٠٥ /مراجعة جورج نخل /دار الكتب العلمية بيروت ./راجع عبد الرحمن بدوي /موسوعة الفلسفة /ج٢/ ص٣١٢ مرجع سابق /راجع الموسوعةالمختصرة /ص ٣٥٦/ مرجع سابق .

[٢١] راجع / عبد الرحمن بدوي / موسوعة الفلسفة /ج٢ /ص٣١٢/ مرجع سابق / راجع يوسف كرم / تاريخ الفلسفة الحديثة ص ٣١٧ / مرجع سابق .راجع الموسوعة الفلسفية المختصرة /ص ٣٥٦ / مرجع سابق.

[٢٢] مقدمة كتاب فلسفة أوجست كونت / ليفي بريل /ص ٩ / ترجمة محمود قاسم / السيد محمد بدوي /ط الثانية /مكتبة الأنجلو المصرية.

[٢٣] يوسف كرم /تاريخ الفلسفة الحديثة /ص ٣١٧.

[٢٤] إميل برهييه تاريخ الفلسفة /ج٨ /ص ٣٤٢ .

،وانتشرت بين الشباب وصارت مبثوثة في مؤلفات تدور بيبنهم . وقد رأي أوجست كونت أن هذه الأفكار ذات طبيعة تقدمية تاريخية ،وكان الواجب أن يتم التعاون لإنجاح تلك الثورة ، من حيث أنها نقلت المجتمع الفرنسي من حالة الركون إلي الحرية والإنطلاق . غير أنه مالبث أن انتقد الثورة وذكر الآثار المترتبة عليها من الاضطراب والفوضي المدمرة ، ولابد من التخلص السريع من هذه الآثار، ورأي أن الوسيلة للتخلص من هذه السلبيات هو العلم وليس الدين.[٢٥]

وفاته : حضرته الوفاة في عام ١٨٥٧ م حيث اجتمعت عليه الأمراض من كل حدب وصوب وعجز جسمه النحيل عن المقاومة ، فأسلم نفسه رغماً عنه إلي بارئها.[٢٦] وبذا تكون حياته قد انتهت ،وصار ذكري بعد أثر.

مؤلفاته : تمثل مؤلفات أي مفكر ، الجانب العقلي منه وتعبر في ذات الوقت عن الحدود ، والأطوار التي مر بها، ثم ترسم الصورة المستقلة لما تجب أن تكون عليه آراؤه ، وبناءً علي تلك المعطيات فإني أقدم أمرين لا حيلة لي فيهما :

الأمر الأول : المعاناة في النشأة : سلف الحديث عن معانات أوجست كونت منذ نشأته من الفقر والضنك والحرمان ، بجانب الضجر وشكوي الزمان ،ومن كان مثله فإن الأفكار التي تدور في رأسه ستكون معبرة أصدق تعبير عن جانب المعاناه الذي سلفت الإشارة إليه ،وبالتالي تفتقد آراؤه العمومية وتنعكس إلي الذاتية السلبية وهذا مما يجعل الباحث يفكر طويلاً أثناء التعرض لمؤلفات الرجل .

---

[٢٥] راجع إميل برهييه/ تاريخ الفلسفة /ج٨ / ص ٣٤٣ / راجع بيردو كاسيه / الفلسفات الكبري / ص ١٦٣ / ترجمة جورج يونس /إشراف كمال يوسف الحاج/ منشورات عويدان /بيروت – باريس / ط الثالثة /١٩٨٣ م

[٢٦] راجع إميل برهييه/تاريخ الفلسفة / ص٢٤٣،٢٤٢ .

الأمر الثاني :أن أوجست كـــونت أصيب بإنهيارعصبي عقلي ،وآخر نفسي ، ومتي كان ذلك واقعاً دلت عليه الشواهد ، فإن المؤلفات التي تدور بين حنايا هذا العقل توسم بتلك الصفات ،وذلك من شأنه أن يقلل من قيمة تلك المؤلفات ، لأنها قامت علي حالات مرضية ، ولا يعقل أن يكون ناتج هؤلاء المرضي ممثلاً لفلسفة حقيقية .

أما وقد عرضت هذين الجانبين فهاك لمحة عن مجمل ما نسب إليه من مؤلفات :

١- أهم مؤلفاته كتابه "دروس في الفلسفة الوضعية " الذي جاء في ستة أجزاء ،كتبه في الفترة من عام ١٨٣٠ م_١٨٤٢م وفي هذا الكتاب يضع أسس العلم الجديد الذي أسماه علم الاجتماع ، والدعوي الأساسية في هذا المؤلف ، هي أننا يجب أن ننصرف عن محاولتنا استكشاف علل العالم الطبيعي فيما وراء هذا العالم ، وذلك في سبيل المنهج العلمي الذي يربط وقائع الملاحظة بعضها ببعض.[٢٧]
٢- النظرة العامة للوضعية ، نشر عام ١٨٤٨ م .
٣- تعاليم الدين الوضعي نشر عام ١٨٥٢ م .
٤- المجلدات الأربعة التي بعنوان "نظام الحكم الوضعي "[٢٨]
٥- التقويم الوضعي ، نشر عام ١٨٢٩ م .
٦- الوضعية سؤال وجواب ، نشر عام ١٨٥٢ م .
٧- المذهب الذاتي وتم نشرة ١٨٥٦ م .[٢٩]
٨- التقييم المقتضب لمجمل الماضي الحديث ، نشر عام ١٩٢٠ .
٩- الفصل بين الظنون والرغبات ،نشر عام ١٨١٩ م.
١٠- خطة الأعمال العلمية الضرورية لإعادة تنظيم المجتمع.[٣٠]
ومن جملة تلك المؤلفات يمكن أن يتم التعرف علي وجهة نظرة

---

[٢٧] راجع الموسوعة الفلسفية المختصرة / ص ٣٥٦ / مرجع سابق
[٢٨] نفس المرجع /ص ٣٥٦
[٢٩] راجع /عبد الرحمن بدوي / موسوعة الفلسفة /ج٢ / ص٣١١ ،٣١٢ .مرجع سابق

فيما يتعلق بالميتافيزيقا علي وجه العموم ، وفي ذات الوقت يمكن الوقوف علي الأسباب التي أدت به إلي إنكار الميتافيزيقا ، وهل رفض أوجست كونت الميتافيزيقا بشكل عام ؟
وهذا هو الذي أتناوله فيما سيأتي إن شاء الله تعالي .

---

[٣٠] **راجع /إميل برهييه / الفلسفة الحديثة /ج٨ /ص ٣٤١ /مرجع سابق**

المبحث الأول

موقف أوجست كونت من الميتافيزيقا

شنت الوضعية الفرنسية ، ومؤسسها "أوجست كونت " في نهاية القرن التاسع عشر حملة عنيفة علي الميتافيزيقا ،وقد عرض كونت لمشكة الميتافيزيقا في كتابه "دروس في الفلسفة الوضعية " "١٨٣٠م _١٨٤٢ م" في ستة مجلدات ،وقد شرح فيه ما يعرف بإسم قانون الأطوار الثلاثة ، وهو القانون الذي حدد كونت وفقاً له تقدم التفكير الإنساني ، وقد أنكر أوجست كونت الإله بناء علي هذا القانون الذي رأي فيه هذا المختل ،أن الحالة الوضعية هي أفضل الحالات علي الإطلاق ، لأن العقل في هذه المرحلة استبعد تماماً البحث عن علل وأسباب الظواهر والأحداث ، واهتم بالظواهر والأحداث نفسها ، وأنه اكتفي بذلك حتي لا يضيع جهده في شئ لا فائدة فيه ،ولا نفع وراءه ، وقبل أن نعرض لهذا القانون لابد أن نشير إشاره سريعة إلي فلسفة أوجست كونت الوضعية والتي توصل من خلالها إلي إنكار الألوهيه ، بل إنكار جميع الاديان ، ورفـض عالم الغيب بإطلاقه ، وطعن في كل معرفة تأتي عن طريق الوحي ، وهو ما يعرف كما قلنا سابقاً بالمتافيزيقا التأملية التي هي موضوع البحث .

المطلب الاول :فلسفة أوجست كونت الوضعية :

تقوم الفلسفة الوضعية علي أن الفكر الإنساني لا يدرك إلا الظواهر المحسوسة في العالم الذي نعيشه ،ويدرك ما بين تلك الظواهر من علاقات مادية محسوسة واضحة .أما البحث وراء الظواهر الطبيعية عن علل لها خفية ،أو أمور غائية ، أو حكمة وعناية ، أو فاعل ومدبر أو خالق وصانع ، فهذه كلها أوهام وخرافات لا ينبغي أن يفكر فيها أحد ، وإن وجـد من يتمسك بها فإنما هي أوهام ذاتية لا صلة لها بالواقع اطلاقاً ، فالبحث عن العلل والغايات وراء الظواهر إضافة إلي أنه وهم

وخيال ،فإنه لا يمكن إدراك شيئ من ذلك ولا فائدة له في عالم الواقع وهو مفسدة للعقل مضيعة للوقت والجهد .

يقول أوجست كونت ":أن لفظ الوضعي يدل علي الحقيقي المقابل للوهمي ، وهو موافق من هذه الناحية للروح الفلسفية الجديدة ، وهي الروح التي تتميز بارتباطها الدائم بالبحوث التي يستطيع عقلنا أن يضلع بها "[٣١]

والفلسفة الوضعية هي : " الرأى القائل بأن المعرفة اليقينية هي معرفة الظواهر التي تقوم علي الوقائع التجريبية ولا سيما تلك التي يتيحها العلم ،وينطوي المذهب عادة علي إنكار وجود معرفة نهائية ، أي معرفة تتجاوز التجربة ، ولا سيما بالعلل النهائية.[٣٢] وأهم ما يمتاز به المذهب الوضعي ، رفضه الميتافيزيقا "ما بعد الطبيعة "بحزافيرها ، واعتبار الفلسفة علماً كلياً، والتجربة وحدها أصل كل معرفة ، وموضوع كل علم .[٣٣]

معني ذلك " أن الحس المشاهد _لا غيره _مصدر المعرفة الحقيقية اليقينية ، ففي العالم الحسي تكمن حقائق الأشياء . أما انتزاع المعرفة مما وراء الظواهر الطبيعية الحسية ، والبحث عن العلة في هذا المجال ، أمر يجب أن يرفض .ولهذا تكون كل نظرية أو كل فكرة عن وجود له طابع الحقيقة واليقين فيما وراء الحس ، .....مستحيلة "[٣٤]

---

[٣١] جميل صليبا /المعجم الفلسفي /ص ٥٧٧/ مرجع سابق

[٣٢] أحمد زكي بدوي / معجم مصطلحات العلوم الإجتماعية /ص ٣٢١ / مكتبة لبنان / راجع الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالإستعمار الغربي/ محمد البهي /ص ٢٧٤ / مكتبة وهبة / ط الرابعة

[٣٣] ر اجع آزفولد كولبه / المدخل إلي الفلسفة / ص ٣١ / ترجمة أبو العلا عفيفي /مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر /١٩٤٢ .م

[٣٤] محمد البهي / الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالإستعمار الغربي / ص٢٤٧ ،٢٤٥ / مرجع سابق .راجع إميل برهييه / تاريخ الفلسفة ا /ج٨ /ص

مما سبق يتبين لنا :

١- أن الفلسفة الوضعية مصطلح أطلقه كونت علي فلسفته الخاصة ، ثم اتسع نطاق هذا المصطلح ليشمل كل من يؤمن بهذه الفلسفة .

٢- التجربة والحس مصدر المعرفة اليقينية .
٣- رفض الميتافيزيقا .

يقول د." محمد البهي " : "تميز القرن التاسع عشر بفلسفة معينة ، لأن اتجاه التفكير فيه مال إلي سيادة الطبيعة علي الدين والعقل معا ، وإلي إستقلال الواقع كمصدر للمعرفة اليقينية مقابل الدين والعقل معا "[٣٥].

ويقول أيضاً : الفلسفة الوضعية تقدر الطبيعة كمصدر فريد للمعرفه بمعني " أنها تنقش الحقيقة في عقل الإنسان وتوحي بها ....وكل ما يأتي وراء الطبيعة خداع للحقيقة ، وبناء علي ذلك يكون "الدين" وهو وحي "أي ما بعد الطبيعة خداع ".[٣٦]

من هذا يتبن لنا أن أهم ما تمتاز به فلسفة أوجست كونت ، هو رفض الميتافيزيقا التي تتمثل في كل بحث يتجاوز مجال الواقع الحسي ، بحجة أنها عقيمة . فرفض البحث في "المطلقات " وأنكر القول بالجوهر[٣٧] الميتافيزيقى و ذكر أن المطلق[٣٨] لا وجود

---

[٣٥] **محمد البهي / الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالإستعمار الغربي / ص ٣١٣ / ط الثالثة**

[٣٦] **المرجع السابق /ص ٣١٦ .**

[٣٧] **الجوهر :مصطلح فلسفي، يعني في الفلسفة الإسلامية ، ما كان يعنيه في الفلسفة اليونانية ،وهو ما يقوم بذاته ولا يفتقر إلي غيره مثل الجسم ، بخلاف العرض الذي يفتقر إلي غيره ليقوم به مثل اللون ،والجوهر الميتافيزيقي هو الجوهر المجرد مثل العقول والنفوس . الموسوعة العربية الميسرة /ص١٢٧٥ / مرجع سابق**

[٣٨] **المطلق : يقابل النسبي.و هو اليقيني بالقياس إلي ما هو افتراضى .محتمل الصدق . وفي الفلسفة الدينية :مرادف للفظ الجلالة الله أو هو صفة له .الموسوعة العربية الميسرة / ص ٣١٥٨ .**

له في العالم ، وأنه لا يوجد إلا النسبي[٣٩] من حيث أن المطلق ليس إلا فكرة زائفة لا يقبلها العلم الوضعي .[٤٠]

وتعتبر فلسفة أوجست كونت ، نقطة تحول في الفكر الفلسفي من حيث انكارها لما ذهبت إلي الفلسفة التقليدية ، من التركيز علي الوجود لمعرفة أسراره ، وكشف حقيقة الموجودات ، وفهم النفس البشرية وخفاياها .[٤١] وقد استندت الوضعية في هذا الإنكار إلي أن تلك االفلسفة التقليدية لا تقدم لنا من الحلول إلا طائفة من التأملات المجردة التي لا فائدة منها للوجو د البشري ، وبالتالي أصبحت االفلسفة الميتافيزيقة غير ذات ممموضوع ، لأن االعلوم التي تعتمد عي المناهج التجريبية وتدرس الواقع قد استوعبت مجال تلك الفلسفة.[٤٢]

وحين أطلق أوجست كونت بذور هذا التيار ، إنما أراد أن يعبر بفلسفته الوضعية عن اتجاه فلسفي يهدف إلي تحرير العلم من رتبة الفلسفة والميتافيزيقا و تأملاتها .[٤٣] وفضلاً عن ذلك رأي كونت أن العبارات الميتافيزيقية قضايا غير واضحة ، بل أقل وضوحاً من قضايا الاهوت ، وأن القضايا الواقعية التي تدخل

---

[٣٩] النسبي : ما ينسب إلي غيره ويتوقف وجوده عليه ولا يتعين إلا مقروناً به ، وهو عكس المطلق ، وهو مقيد وناقص ومحدود مرتبط بالزمان والمكان يتلون بهما ويتغير بتغيرهما ، ولذا فالنسبي ليس بعالمي . / راجع عبد الوهاب المسيري / موسوعة اليهود واليهودية و الصهيونية / ج١ /ص ٥٩ / دار الشروق / القاهرة /ط الأولي /١٩٩٩م

[٤٠] راجع د .قباري محمد اسماعيل / علم الإجتماع والفلسفة / خ٣ / الأخلاق والدين / ص ١٠٤ / دار المعرفة الجامعية /١٩٨٢.م

[٤١] راجع / محمد عبد الله الشرقاوي / مدخل نقدي لدراسة الفلسفة / ص ١٣٤ /ط الثانية /١٩٩٠ / دار الجيل بيروت .

[٤٢] المرجع السابق / ص ١٥٥، ١٥٦ /راجع سامية عبد الرحمن / الميافييزيقا بين الرفض والقبول /ص ٣٤ ، ٣٥ / مكتبة النهضة المصرية / ١٩٩٣

[٤٣] راجع ماهر عبد القادر محمد علي/خرافة الوضعية المنطقية/ ص٦٥ /دار المعرفة الجامعية /١٩٩٤م

ضمن المجال التجريبي ، في الإمكان التثبت من صحتها ، لان الخبرة الحسية متوفرة لها .[٤٤]

ووصل أوجست كونت إلي الحد الذي اعتبر فيه الميتافيزيقا من مخلفات الماضي التي يجب أن تنتهي تماماً ، وأرجع حالة الفوضي التي سادت المجتمع الفرنسي إلي أن الفلسفة الوضعية لم تستطع القضاء نهائياعلي الرواسب الاهوتية والمتافيزيقيةً .[٤٥]

أخيراً يري كونت أن تقدم المجتمع مرهون بعزوفه عن البحث فيما وراء الطبيعة يقول : " ينبغي أن ننصرف عن محاولتنا استكشاف علل العالم الطبيعي فيما وراء هذا العالم ....وذلك في سبيل المنهج العلمي الذي يربط وقائع الملاحظة بعضها ببعض ."[٤٦] وبذلك استبعد كونت البحث في الغايات القصوي والعلل الأولي ، ولم يعترف بغير الواقع المحسوس يعالجه بمناهج البحث العلمي .

---

[٤٤] راجع توفيق الطويل / أسس الفلسفة / ص٢٧٤ / دار النهضة العربية / القاهرة /١٩٦٤ . م

[٤٥] راجع ليفي بريل / فلسفة أوجست كونت / ص٤١. راجع سلسلة تراث الإنسانية / المجلد الثاني / طبع المؤسسة المصرية
للتأليف والترجمة والنشر

[٤٦] الموسوعة الفلسفية المختصرة / ص٣٥٦ / مرجع سابق

المطلب الثاني : قانون الحالات الثلاث :

عرفنا فيما سبق أن الأساس الذي تنهض عليه الفلسفة الوضعية هو رفض الميتافيزيقا .ففلسفته لا تؤمن إلا بما هو محسوس ومادي . والواقع أن كونت كان مفكر متشعب الإهتمامات والإختصاصات .فقد كتب في السياسة ، وعلم الإجتماع وكتب في الدين والقضايا الروحية والميتافيزيقية ، وقد أمضي كونت نصف حياته العلمية في دراسة القوانين التي تتحكم بظواهر الكون ومادته ، ونصفها الآخر في بلورة النظرية الأخلاقية والدينية للبشرية .

فبعد أن بلور المبادئ العامة للفلسفة الوضعية انتقل إلي دراسة القوانين التي تتحكم بتطور المجتمعات البشرية .وقد انطلق في ذلك من فلسفة للتاريخ مبنية علي مخطط ينطبق علي الفرد كما علي الجماعة ،حيث رأي أن الإنسان قد مر بمناهج متعددة في محاولته للوصول إلي المعرفة اليقينية ، وأنه عاش مراحل مختلفة قبل استقراره علي المنهج الوضعي ،وساعده علي ذلك : التطور الذي جعله ينتقل من مرحلة إلي أخري . وقد سمي كونت اكتشافه لتطور مناهج المعرفة الإنسانية "بقانون الحالات الثلاث." الذي يري أنه أول من توصل إليه ، وفي حقيقة الأمر أن هناك من توصل إلي هذا القانون قبل كونت ، ولكنهم لم يدركوا القيمة العلمية له.[٤٧]

---

[٤٧] راجع ليفي بريل / فلسفة أوجست كونت /ص ٥١ /مرجع سابق . وإذا كان كونت قد زعم بأن ما آتاه جديداً ،وهو دراسته الظاهرات الإجتماعية علي الطريقة الوضعية ،فقد سبقه ابن خلدون إلي هذا بحوالي أربعة قرون أو تزيد ، كما أن نشأة المجتمع واضمحلاله قد وردت قبلاً لدي ابن خلدون ، وقبل أن يأتي بها كونت .راجع عبد الباسط عبد المعطي / اتجاهات نظرية في علم الإجتماع /ص ٦٥ /عالم المعرفة / ١٩٨١ .م

ونلاحظ أن الميتافيزيقا في هذا القانون تحتل المرتبة الوسطي في هذا المخطط المؤلف من ثلاث مراحل ، معني هذا أن مكانة الميتافيزيقا متأرجحة وغير ثابتة بل هي "همزة الوصل أو حلقة الإتصال بين العصر الديني والعصر العلمي ".[٤٨]

ويقول كونت في هذا القانون أن تطور التفكير الإنساني قد مر بثلاثة أطوار هي :

١- الطور الاهوتي .
٢- الطور الميتافيزيقى .
٣- الطور الوضعي.

وهو يعتقد أن تاريخ البشرية يشبه تاريخ الفرد ، فالفرد في حياته يمر بثلاث أطوار أو أدوار متتابعة : دور الطفولة ، ثم دور الشباب ، وأخيرا دور النضج والشيخوخة.[٤٩] وتتميز كل حالة من الحالات الثلاثة بمجموعة من المزايا :

أولاً : الطور الاهوتي : أو" الديني " وهو بداية التفكير الإنساني ،فالإنسانية بدأ ت في عهد الطفولة خاضعة في تفكيرها للخيال شأن الطفل الصغير الذي يفهم ما يحدث أمامه من ظواهر بنسبتها إلي قوي شخصية مريدة تشبه قوته هو ، وفي هذا الطور كان الإنسان يفسر كل الظواهر الطبيعية التي يراها أمامه بردها إلي أسباب خارقة للطبيعة ، فيقرر أن ثمة عللاً خفية تعلو علي الطبيعة هي التي تسبب هطول المطر، وتحدث الرعد ،والزلازل والبراكين ،وتعمل علي نمو الأشجار والنباتات .وهذه العلل المستورة ، هي قوي إلهية يسميها آلهة ، أو عفاريت أو أشباحاً.[٥٠]

---

[٤٨] ذكريا ابراهيم /مشكلة الفلسفة / ص ١٤٢ /مكتبة مصر

[٤٩] راجع د. إمام عبد الفتاح إمام /الميتافيزيقا / ص ١٣٨ / دار الثقافة للنشر والتوزيع . / راجع محمد فتحي الشنيطي / المعرفة /ص ١٧١ / مكتبة القاهرة الحديثة ،

[٥٠] راجع ول ديورانت / قصة الفلسفة من أفلاطون إلي جون ديو /ص٤٥٤ /ترجمة فتح الله محمد المشعشع /ط السادسة /١٤٠٨ ه _١٩٨٨ م / راجع ليفي بريل /

والسمة المميزة للتفكير في هذه االمرحلة أنه يتجه إلي المعاني المطلقة ،وإلي معرفة جواهر الأشياء ." فالتفكير اللاهوتي مثالي في تطوره ،مطلق في فكرته ، قائم علي التعسف في تطبيقاته ".[٥١] ويوضح يوسف كرم خصائص التفكير في هذه الحالة بقوله : " الحالة الاهوتية موضوعها مطلق ،وتفسيراتها فائقة للطبيعة ومنهجها خيالي ."[٥٢]

ثانياً : الطور الميتافيزيقي (أو الفلسفة).

انتقل الإنسان من مرحلة التفكير الاهوتي إلي مرحلة التفكير االميتافيزيقي ، وهو في نظر كونت مجرد تعديل للطوراللاهوتي ، فهما يشتركان في خصائص عديدة ، فالإنسان في هذا الطور الميتافيزيقي يسعى إلى البحث عن العلل الأولى والوصول إلى المعرفة المطلقة ،لكنه يستبدل في هذا الطور بالعوامل الخارقة على الطبيعة قوى مجردة يتصور أنها قادرة على إحداث كل الظواهر التي يشاهدها، من ذلك فكرة الجوهر ، وافتراض وجود الروح أوالنفس لشرح الظواهر.إن مثل هذه الأفكار ليست سوي تصورات مجردة ، وقوي ميتافيزيقية يخضع لها العقل الإنساني أحياناً في تفسيره لمختلف الظواهر الكونية.[٥٣]

وهذه الحالة تتصف تقريباً بنفس الصفات التي تتصف بها الحالة الاهوتية "وكل الفرق بينها وبين الحالة السالفة أن المـــــجرد يحل محل المشخص ،ويحل الإستدلال محل الخيال ، أما الملاحظة فثانوية فيها

فلسفة أوجست كونت /ص ٦١ / مرجع سابق ./ راجع يوسف كرم /تاريخ الفلسفة الحديثة / ٣١٨ / ط الخامسة .

[٥١] ليفي بريل / فلسفة أوجست كونت / ص ١٥

[٥٢] يوسف كرم /تاريخ الفلسفة الحديثة / ص ٣١٨ / .راجع إمام عبد الفتاح إمام / الميتافيزيقا / ص١٣٩ / . راجع أندريه كريسون / تيارات الفكر الفلسفي من القرون الوسطي حتي العصر الحديث / ص ٣٧١ /منشورات بحرالمتوسط ، وعويدان ،بيروت /ط الثانية /١٩٨٢ م

[٥٣] راجع ول ديورانت / قصة الفلسفة / ص٤٥٤ / راجع أيضاً يوسف كرم / تاريخ الفلسفة الحديثة / ص ٣١٨ / راجع إمام عبد الفتاح إمام/ الميتافيزيقا /ص١٤٠ /راجع عبد الفتاح محمد العسوي ، عبد الرحمن محمد العسوي / مناهج البحث العلمي في الفكر الإسلامي والفكر الحديث /ص ٤٦ / دار الراتب الجامعية /١٩٩٦ م

جميعاً[٥٤] والطور الميتافيزيقي هنا يمثل الإنسانية وقد وصلت إلي دور الشباب ، وخضعت في هذا الدور للتفكير العقلي المجرد ،شأنها شأن الفرد في دور الشباب والمراهقة ، عندما يخضع حياته للآمال الواسعة اللامحدودة ، وللتفكير المجرد المطلق .[٥٥]

ويقول كونت عن هذه المرحلة :"أن الميتافيزيقا حاجز معطل وموقف للتطور ،وأن الوقت قد حان للتخلي عن هذه ....السخافات الصبيانية ".[٥٦]

ثالثاً : الطور الوضعي (أو العلمي) .

هنا تصل الإنسانية إلي دور النضج ، كما يصل الفرد إلي دور الإكتمال والرجولة ، وهو الدور الذي تخضع فيه حياته للواقع وللتجارب . يري كونت " أن هذه الحالة هي الحالة النهائية التي يستقر عليها العقل البشري خلال مراحل تطوره ،وفي هذه الحالة يعدل العقل البشري عن طريقته في التفكير في الظواهر المحيطة به ،فيقلع عن البحث عن الأسباب، وعن معرفة جواهر الأشياء ،ويكتفي بملاحظة الظواهر ،ثم دراستها دراسة علمية في محاولة منه لمعرفة القوانين التي تخضع لها .فالفكر الإنساني في هذه الحالة يدرك استحالة الحصول علي مفاهيم مجرده ، ولذلك يتخلي عن بحث بداية ونهاية الكون ،وعن معرفة الأسباب الخفية للظواهر ،ويهتم فقط بما يكتشفه بواسطة التركيبات العقلية والملاحظة .[٥٧]

وقانون الجاذبية الذي وضعه نيوتن هو نموذج للتفسير في الطور الوضعي :إنه يفسر مجموعة هائلة من الظواهر المتنوعة دون أن يقول

---

[٥٤] يوسف كرم /تاريخ الفلسفة الحديثة / ص ٣١٨

[٥٥] أندريه كريسون / تيارات الفكر الفلسفي من القرون الوسطي حتي العصر الحديث / ص ٣٢٠ / مرجع سابق

[٥٦] – ول ديورانت / قصة الفلسفة / ص٤٥٤

[٥٧] راجع ليفي بريل /فلسفة أوجست كونت / ص ٦١ ./ راجع عبد الرحمن بدوي / موسوعة الفلسفة / ج ٢ / ص٣١٢.

شيئاً عن الجاذبية في ذاتها ، فهو يمكن أن يترك ذلك لتخيلات اللاهوتيين وتدقيقات الميتافيزيقيين . والمهم أن هذا الطور الوضعي هو المرحلة الحاسمة الثابتة من مراحل الذهن البشري . والإنسان فيها يستعيض عن المطالب بعيدة المنال ، أعني مطلب العلل والغايات ، بدراسة الظواهر وأحوال وجودها وقوانين ارتباطها .[٥٨]

وأخيراً يزعم كونت أن قانون الحالات الثلاث هذا هو قانون حتمي وضروري ، وأن الإنسانية مجموعها تخضع له ،وأنه لا يمكن أن يوضع هذا القانون موضع الشك إلا إذا " وجد المرء فرعاً من فروع معرفتنا يتقهقر من الحالة الميتافيزيقية إلي الحالة اللاهوتية أو من الحالة الوضعية إلي احدي الحالتين السابقتين ،ولكن هذا لم يتحقق مطلقاً " .[٥٩]

من خلال ماسبق يتضح أن كونت يري أن البشرية مرت عبر تاريخها الطويل منذ وجودها حتي زمانه بحالات ثلاث أو مراحل متتابعة ومتوالية ، والفيلسوف مثل كل الفلاسفة والمفكرين الملحدين يعتقدون أن البشرية بدأت حياة بدائية قريبة من حياة الحيوان ،ثم تقدمت عن طريق الخـــــبرات والتجارب الحـياتية ،دون معونة أو توجيه من وحي أو إله ،وهذا الرأي مناقض تماماً بل مصادم للعقيدة الحقة التي نعتقدها ونؤمن بها نحن المسلمون ، بل ويؤمن بها كذلك اليهود والنصاري أصحاب الكتابين السماويين ،رغم ما وقع فيهما من تحريف وتبديل، فالكل يؤمن بأن البشرية بدأت تاريخها بأبي البشرية (آدم)عليه السلام . وكان آدم عليه السلام موحداً.

لكن كونت حسب ما يري، أن البشرية نشأة نشأة بدائية ، ثم تدرجت نحو التقدم . وبناء علي ذلك وضع ما أسماه قانون الحالات الثلاث ،وكان يهدف من وراء هذا القانون ، إلي رفض الميتافيزيقا والقضاء علي كل تفكير ديني ينسب الأشياء والتأثيرات إلي إرادة الله ، وهو يكرس

---

[٥٨] راجع ليفي بريل / فلسفة أوجست كونت / ص ٨٨ . / راجع الميتافيزيقا / د . إمام عبد الفتاح إمام / ص ١٤٠ ،١٤١

[٥٩] ليفي بريل / فلسفة أوجست كونت /ص ٦١ .

كل جهوده لتحقيق هذا الهدف ،فكل مرحلة سابقة في هذا القانون تعتبر منتهية بحلول المرحلة التي تليها .فأوجست كونت يرمي إلي جعل الإنسان يفكر تفكيراً مجرداً ،لا أثر فية للقول بالعناية الإلهية أو غير ذلك من الأفكار التي تنسب إلي الدين ، ولكن لنا أن نتساءل هل معرفة السب القريب يغني الإنسان عن معرفة خالق الأسباب وهو الله عز وجل ؟ وهل التقدم العلمي يقضي علي الدين ؟ هذا ما سيتضح لنا إن شاء الله .

المطلب الثالث :الألوهية في فكر أوجست كونت :

أنكر كونت فكرة الإله ورأي أن الثمرة التي تجني من هدم الوضعية للمعايير اللاهوتية والميتافيزيقة هي الإعتراف بالإنسانية بوصفها الكائن الأعلي ، فالإنسانية لا الدولة هي الكائن الحقيقي . بل هي الحقيقة الواقعة الوحيدة ، وهي الكيان الوحيد الجدير بالتبجيل الديني في عصر نضوج البشرية "إن تلك الفكرة العظيمة ، فكرة الإنسانية ،سوف تمحو فكرة الإله علي نحو لا رجعة فيه ". وهكذا يبدو وكأن كونت قد أراد بفكرة الإنسانية هذه أن يمحو سيئات ذلك الجو الإضطهادى الذي كان يتحرك فيه "[٦٠]

ويعتبر كونت الدين "مبدأ للنظام السياسي "[٦١] ويراه أساساً من الأسس الهامة التي تقوم عليها المجتمعات الإنسانية ، فهو الذي يحافظ علي ثبات المجتمعات القديمة وترابط أفرادها[٦٢] ولا يفهم أوجست كونت من كلمة الدين أكثر من ذلك ، فهو يتساءل " ما الذي نظم مسلك الأفراد في الماضي ؟ ما الذي وحد التصرفات ونسقها ؟ شئ ما واحد هو الدين ،الكلمة نفسها تدل على ذلك..... والتاريخ يؤكد أن التطور البشري خضع لتطور المفاهيم الدينية " .[٦٣]

ولا شك أن هذه النظرة للدين تخلو من الإيمان بالذات الإلهية المطلقة ، القادرة ، المريدة التي تتجه اليها نفوس العابدين بالذل والتضرع والمناجاة ، وما ذلك إلا لأن المذهب الوضعي يقوم على أساس رفض الميتافيزيقا وانكار الحقائق المطلقة ، فكل شئ عند أوجست كونت

---

[٦٠] هربرت ماركيوز / العقل والثورة / ص ٢٤٤ / ترجمة فؤاد زكريا / ط الثانية / المؤسسة العربية للدراسات والنشر /بيروت /١٩٩٧ م .

[٦١] ليفي بريل / فلسة أوجست كونت / ص ٤٠ .

[٦٢] راجع يوسف كرم / تاريخ الفلسفة الحديثة / ص ٣٢٧ .

[٦٣] أندريه كريسون / تيارات الفكر الفلسفي من القرون الوسطى حتى العصر الحديث / ص٣٧١

نسبي يقول " ليس هـــــناك شئ مطلق في هذا العالم ،بل كل شئ نسبي ".[٦٤]

والغريب أنه بعد تقريره للنسبية فإنه يعتقد أن هناك حقيقة عليا تتوقف عليها كل الحقائق الأخري ،ويطلق كونت علي هذه الحقيقة اسم "الإنسانية" وهي ليست الهدف النهائي "في ذاتها " لكل فكرة ولكل نشاط ، ولكنها الهدف النهائي "بالنسبة إلينا " وهذا يعني أن الفلسفة الجديدة قـــــد تركت وجهة النظر الميتافيزيقية إلي وجهة النظر الوضعية ،وبهذا تكون فكرة الإنسانية "موازية تماماً" للفكرة القديمة عن الحقيقة المطلقة . فإنها تحل محلها وتؤدي وظيفتها الدينية ،فهي في الحقيقة "فكرة مطلقة نسبية " إذا جرؤنا علي مثل هذا التعبير .[٦٥]

وتظهر فكرة الإنسانية في مذهب كونت في أشكال شتي متتابعة .أو بعبارة أدق نجد أن تطور مذهبه قد كشف النقاب شيئاً فشيئا عن الصفات المختلفة لذلك " الكائن الاعظم "فقد كان كونت في المرحلة الأولي من حياته الفلسفية ، يفضل النظر إلي الإنسانية علي أنها موضوع للعلم . أما في المرحلة الثانية فقد غدت في نظره كما لو كانت موضوعاً للحب والعبادة .[٦٦]

ويري كونت أن المجتمع في أمس الحاجة إلي مجموعة منظمة من العقائد ،يتفق عليها الأفراد جميعاً ، وهذا لا يتأتي إلا إذا ألغينا الديانات القائمة ، وصهرناها في دين جديد . هو" الدين الوضعي " ويدور هذا الدين حول عبادة الإنسانية كفكرة . أي أن فكرة الإنسانية تحل في نظرة محل فكرة "الله " ورسم كونت لهذه الديانة طقوساً ودعا جميع أفراد الجنس الإنساني أن يتجهوا إليها بالعبادة والتقديس لأنها " الكائن العظيم

---

[٦٤] ليفي بريل/فلسفة أوجست كونت / ص٣٤٢ / مرجع سابق
[٦٥] راجع ليفي بريل/ فلسفة أوجست كونت / ص ٣٤٢
[٦٦] نفس المرجع / ص ٣٤٢

" ونحن أعضاؤه . ووظيفة هذه الديانه كما يراها كونت تحقيق وحدة دينية في العالم بأسره .[٦٧]

لقد انتهت الرغبة الجامحة للوضعية في مقاومة كل تفكير خارج دائرة الحس ، إلي حصر الظاهرة الدينية في المجال الواقعي المحسوس ، فليس هناك دين غير دين الإنسانية ، والإنسانية هي الكائن الاعظم الذي يستحق العبادة حقاً .

وإذا كان مضمون كل دين يتلخص في معتقدين :الله والخلود . فإن الوضعية لا تعدم إيجاد تفسير اجتماعي واقعي مقبول لهذا المضمون ،ففكرة الإنسانية تقوم مقام" الله " فهي التي تقمع ميولاتهم الأنانية المتنافرة لتتجه إلي الإئتلاف والإتحاد ،وفكرة "الخلود " تعني عند الوضعية مشاركة أهل الحق والعدل أولئك الذين أحبوا هذه الحياة الإنسانية .[٦٨]

مما سبق يتضح أن أوجست كونت يرفض الإيمان بالحقائق المطلقة ولا يؤمن إلا بالنسبية ،ولكي يكون منسجماً مع فلسفته الوضعية ، فكر في شيئ يمكن أن يحل محل الإيمان بالله ، فهداه تفكيره إلي فكرة الإنسانية وأحلها محل الألوهية فالإنسانية هي الكائن الأعظم الذي يتجه إليه الناس بالعباده والتقديس ، وبذلك ألغي الرجل الأديان التي يدين بها الناس ، وأقام بديلاً عنها دين جديد من اختراعه هو .و أهم ما يميز هذا الدين أنه لا يقوم علي الغيب ،ولا يحتوي شيئاً منه ،ذلك أن الإله المعبود في هذا الدين إله محسوس مشاهد .ذلك هو ما أسماه الرجل "دين الإنسانية " .

---

[٦٧] راجع د . مصطفي الخشاب / علم الإجتماع ومدارسه / الكتاب الأول وموضوعه تاريخ التفكير الإجتماعي وتطوره /ص٢٤٩ /مكتبة الأنجلو المصرية / ١٩٨٣ .

[٦٨] راجع اميل بوترو / العلم والدين في الفلسفة المعاصرة / ص ٤٩ / ترجمة أحمد فؤاد الأهواني / الهيئة المصرية للكتاب / ١٩٧٣

ويقودنا هذا إلي الحديث "مبدأ الغائية " وهو" القول أن كل موجود فهو يفعل لغاية ، وأن الغايات الجزئية في هـــذا العالم مرتبطة بغاية كلية ،وهذا المبدأ هو الذي بني عليه إثبات وجود الله بالدليل الغائي ،لأنك إذا قلت أن لكل موجود غاية ، وأن جميع الأشياء منظمة ومرتبة لغاية ، وجب عن ذلك ضرورة أن يكون هناك موجود عاقل يوجه الأشياء الطبيعية كلها إلي غايتها ، وهذا الموجو د ...هو الله "[٦٩]

وقد انتقد أوجست كونت هذا المبدأ ، ورأي أن الإيمان بأن مختلف أنواع الظواهر تخضع لقوانين ثابته يؤدي إلي ضعف الإيمان بالأسباب الغائية ، وسيكون مصير هذا المبدأ في - رأي كونت – نفس المصير الذي تنتهي إليه الفلسفة الدينية والميتافيزيقية . يقول : "إن التجربة تشهد ببطلان هذه النظرية فإن العلم الوضعي لا يقرر ضرورة النظر إلي العالم كما لو كان نتيجة لذكاء أحد لقدرته ."[٧٠] فالشئ الذي يرفضه كونت صراحة هو الغائية بمعناها اللا هوتي أو الميتافيزيقي " تشدوا السماوات بمجد الإله " فهو لا يقبل أن يفسر المرء النظام الطبيعي بحكمة خارقة للطبيعة " .[٧١] "فأوجست كونت لا يدع أي مناسبة دون أن يسخر من الإعجاب الغيبي الذي يبديه هؤلاء الذين يعتقدن أن الطبيعة قد فعلت كل ما في طاقاتها من أجل الأفضل ،أو أن حكمة تدل علي العناية قد نظمت كل شيئ في الطبيعة ."[٧٢]

ويري كونت أن الباحث لكي يصل إلي المعرفة اليقينية عليه أن يؤمن بمبدأ الحتمية[٧٣] الذي يمثل أساس العلم . يقول : " أن جميع

---

[٦٩] راجع اميل بوترو / العلم والدين في الفلسفة المعاصرة / ص ٤٩ / ترجمة أحمد فؤاد الأهواني / الهيئة المصرية للكتاب / ١٩٧٣

[٧٠] ليفي بريل / فلسفة أوجست كونت / ص ١٠٢

[٧١] المرجع السابق / نفس الصفحة .

[٧٢] المرجع السابق / نفس الصفحة .

[٧٣] الحتمية هي : هي القول بأن حدوث ظاهرة ما محدداً بالضرورة من قبل بعوامل وأسباب محددة .جلال الدين السيوطي معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية / ص ١٤٥، ١٤٦ .

الظواهر ....تخضع علي نحو مستمر لقوانين لا تقبل التغيير مطلقاً ".[٧٤] فأوجست كونت لا يؤمن بقوة خارقة للعادة لديها القدرة علي احداث التغيير في نظام الكون ، لأن الإيمان بمثل هذه القوة يعتبر في نظره من سمات العصر الديني ، الذي حكم عليه بالزوال . فالعلم لا يؤمن إلا بالحتميات فكل ظواهر الكون تخضع في سيرها لمبدأ الحتمية ، فالوضعي إذن لا يؤمن بالمعجزات الخارقة للعادة ، بل كل شيئ عنده حسب قانون يسير عليه بصورة لا تتخلف .

مما سبق يتضح أن أوجست كونت يهدف إلي :

١- القضاء علي كل تفكير ديني ينسب الأشياء والتأثيرات إلي إرادة الله .
٢- جعل الإنسان يفكر تفكيراً مجرداً ، لا أثر فيه للقول بالعناية الإلهية ، أو الخلق أ و غير ذلك من الأفكار التي تنسب إلي الدين .
٣- تعميم ذلك علي الأديان كلها دون أن يستسني منها شيئاً .

ويري أوجست كونت أن العقيدة المسيحية السائدة والتي تقوم علي الوحي والمعجزات ، إنما هي عقيدة قد انتهت جذوتها إلي الركود ، وأنها لم تعد صالحة في العصر الوضعي ، ولا تستطيع مواكبة التقدم الذي أحرزه العلم الوضعي في شتي المجالات و الميادين .[٧٥]

كذلك فإن العقيدة المسيحية تحتوي عي أمور تتناقض مع العقل السليم والمنطق ،ولا يمكن التوفيق فيها بين مزاعم العقل ومزاعم الإيمان ، وهذا أعطي لأوجست كونت فرصة لكي يتخد من المسيحية المحرفة مثالاً ، ويصف الأديان التي تقوم علي الإيمان بالوحي وبالقوي الخارقة للعادة ، بأنها كلها عقائد تصلح لطفولة البشرية ،

---

[٧٤] ليفي بريل / فلسفة أوجست كونت / ص ٩٧ .
[٧٥] أندريه كريسون /تيارات الفكر الفلسفي /ص ٣٣٨

ولا تصلح للعصر الوضعي الذي لا يؤمن إلا بالوقائع المشاهدة المحسوسة.

وفي الحقيقة كانت العلوم الطبيعية تحتوي علي أساطير وخرافات وقد أدي التقدم العلمي إلي القضاءعلي هذه الخرافات وأثبت بطلانها ، ولذلك فإننا أوجست كونت يجعل هذه العلوم مثالاً له ، ويتخذها قدوة ، ويأمل أن تحذوا سائر العلوم حذو هذه العلوم الطبيعية فلا يعود هناك أثر لأي تفكير ديني في هذه العلوم . لذلك فإن أوجست كونت " يعزو إلي العلوم قدرة ملحوظة علي تحرير الأذهان من الأوهام اللاهوتية ، والماورائية ، إلا أن لكل منها وسيلته الخاصة للإسهام في هذه النتيجة "[٧٦]

ويضرب كونت مثالاً لهذه العلوم ، بعلم الفلك الذي أثبت خطأ الكثير من الأمور التي تحتويها العقيدة المسيحية حيث حطم الخرافات ، وبدد المخاوف الإنسانية البدائية إزاء الكسوف والخسوف وتوصل إلي الأفكار الأولي حول وجود قوانين ثابتة ، وبذلك وجه ضربة قاسمة إلي المبدأ القديم مبدأ العلل الغائية.[٧٧]

وهـو يـري أن جهل الإنسان هو الذي دفعه إلي الإعجاب بهذا الكون ، وأن العلم الوضعي يبين لهم ، أن النظام الطبيعي الذي يغلو هؤلاء في مدحه غاية في النقص ، ولا نجد مشقة في أن نتصور نظاماً أفضل وأسمي منه.[٧٨]

وبناء علي ما سبق يكون في نظر كونت أي قضية لا يمكن التحقق منها عن طريق الخبرة الحسية ، عديمة المعني لأنه لا يؤمن بما ليس له وجود محسوس ، مثل كلمة الله ، والوحي ، والملائكة .كما أنه يقلل من شأن الإبداع في هذا الكون ، وهذا يعكس مدي اغترار كونت

---

[٧٦] المرجع السابق /٣٣٧

[٧٧] المرجع السابق /ص٣٣٨

[٧٨] ليفي بريل / فلسفة أوجست كونت / ص ١٠٠ .

بالعلوم الوضعية . ولا شك أن العلم نفسه قد أثبت عجزه عن الكثير مما أمله الوضعيون.

والعقيدة التي يجب علي الوضعي الإيمان بها في نظر أوجست كونت ، هي الإيمان " بالإنسانية "فهي الإله في هذه الديانه ،وإليها يتجه الإنسان بالحب والولاء والتقدير ،ولهذا يقول كونت " من الواجب ألا نعرف الإنسانية بالإنسان، بل يجب علي العكس أن نعرف الإنسان بالإنسانية .[٧٩]

إن الدين كظاهرة اجتماعية موجودة لا سبيل إلي إنكارها ،ولكن لا سبيل إلي الإعتراف بدين خارج حدود المجتمع .إن أوجست كونت يعتقد "بأن الدين في عصرنا يستطيع ويجب أن يكون من وحي وضعي ،ولم يعد من الممكن أبداً أن يكون الدين الذي كان في الماضي ما دام هذا الأخير يفرض طريقة في التفكير متجاوزة ، إن الإنسان ذي العقل العلمي لم يعد بإمكانه – حسب اعتقاد كونت – الإيمان بالوحي ، والتعلم المسيحي للكنيسة ، أو بالألوهية وفق المفهوم التقليدي ".[٨٠]

ولكن هـذا ليس مدعاة لإنكار ظاهرة التدين فهي موجودة ونحس بها . "والإنسان نفسه – في إعتقاد كونت –في حاجة إلي الدين لأنه في حاجه إلي شيئ يتجاوزه يحبه ،والمجتمعات في حاجة إلي دين لأنها في حاجة إلي سلطة روحية ، والدين الذي يستجيب لهذه الحاجات الثابتة للإنسانية ، ويسعي إلي تحقيق الحب والوحدة ،سيكون دين الإنسانية نفسها".[٨١]

وقد لخص كونت نظرة الوضعية إلي الحياة الداخلية للإنسان في هذا النص الوجيز " إن الوضعية تطرح بشكل منهجي كل ما هو خارق

---

[٧٩] ليفى بريل / فلسفة اوجست كونت / ص ٣٤٣ .

[٨٠] Rayman Aron/ Les etapes de la pensee sociolgique/ p.122/edition Gallimard /1967

[٨١] Les etapes de lasociolgique / p.122

وفوق الطبيعي ، وترفض قبول كل نظام خاص بالحياة الداخلية ، مجرد من تبريراته العقلية ".[٨٢]

ولكن كيف تسيطر هذه الفكرة علي الأفراد الموجودين بالفعل إلي الحد الذي تحمل في طياتها الله والخلود اللذين يتطلعون إليهما كما يري كونت ؟

يري كونت أن الإنسانية استمرار وتضامن في الزمان .وهي تتألف من كل ما أحس به الناس وفكروا فيه وقدموه من خير وفضل وباقيات صالحات ،إنها الموجود الذي يسمو علي المكان ، والذي ترتكز فيه جهود الأفراد بعد تطهيرها وتنظيمها ، والـذي تصبح معه هذه الجهود حياة خالدة ، وأثراً باقياً.[٨٣]

وينتهي كونت من تحليل فكرة الإنسانية وتحديدها إلي القول بأن الإنسانية الحقه ، إنما تتمثل في مجموعة من الأبطال والعظماء والعقلاء الذين برزوا في تاريخ الإنسانية ويستحقون التكريم ، بفضل ما أدوه من أعمال التقدير والإعجاب . أي أن الدين الوضعي ينتهي في آخر تحليلة إلي " إحياء ذكري الرجال العظماء والفلاسفة الذين أدوا أعمالاً جليلة وخدمات لا تقدر للجنس الإنساني .

وغني عن البيان أن الاتجاه بالعبادة والتقديس إلي طائفة من بني الإنسان فكرة غريبة في حد ذاتها ولا يجد "كونت " مؤيدين له في قبولها والإيمان بها . والواقع أن كونت كان بعيداً جداً عن الإجتماع الديني في تقريره ذلك ، فقد أغرق في تصوراته الدينية ، وملأصدوره بآمال صوفية لا سبيل إلي تحقيقها . ولم يستطع أن يقيم الوحدة الدينية التي كان ينشدها من وراء دينه الوضعي ، فلم تتجه الأجناس الثلاثة

---

[٨٢] Chez Auguste Conte /par/pier el Ducasse , tibrairie/Felix/Alcanl/Paris 1939 /p.38

[٨٣] راجع اميل بوترو / العلم والدين في الفلسفة المعاصرة / ص ٥١ / راجع ليفي بريل / فلسفة أوجست كونت /٣٤٥ .

(الأبيض والأصفر والأسود التي تمثل الذكاء والعمل والعاطفة) بالعبادة والتقديس إلي محراب واحد ،ولم تقصد إلي كعبة واحدة وتدين بدين مشترك " .[٨٤]

ونلاحظ أن أوجست كونت يهتم بالعاطفة والخيال اهتماماً أكثر من العقل والعلم ،ويري أنه إن أعاد مذهب الفتشية[٨٥] الخيالي فإنه لا يخشي من ذلك شيئا لأنه قضي علي المعتقدات الخيالية وأصبح متحصناً بالعلم الوضعي . يقول : فالمذهب الوضعي بعد أن قضي علي المعتقدات التي تلبس ثوب الحقائق ، لم يعد يخشي أن يعيد إلي الحياة مذهب الفتشية الخيالي علي أنه معين عملي تابع للمبدأ المعقول في الدين . فهو يعيده باعتبار أنه وسيلة مطابقة للطبيعة البشرية ، تحقق هذا التنظيم المحسوس والمثمر للعواطف ، الذي بدونه تظل الوحدة التركيبية النهائية - وهي شرط تجديد المجتمعات - فكرة مجردة ".[٨٦]

يقول يوسف كرم : والحقيقة أن هذا الدين يكاد يكون كله ثمرة العاطفة والخيال في تكوينه والإحساس به ،فقد كان يضع العقل في المحل الأول وها هو الآن يري أن قيمة العقل تنحصر في نتائجه العلمية ،فيقدم العاطفة إلي المحل الأول فينتهي إلي مثل الحالة اللاهوتية التي اعتبرها طفولة النوع الإنساني .[٨٧]

وفي نهاية المطاف " يتحقق الهدف تماماً وهو أن الإنسانية ستحيا بلا إله ولا ملك ، وستبقي في نظام سرمدي سائرة في اطرا د نحو

---

[٨٤] د . مصطفي الخشاب /علم الإجتماع ومدارسه / ص ٢٦٢ .

[٨٥] الفتشية : تعني رقية أو طلسم أو تعويذة ، وقد استخدمت هذه الكلمة بين البرتغاليين أثناء تعاملهم مع زنوج غرب أفريقيا . وأيضاً تشير إلي الأسنان أو المخالب أو الريش ، وكلها من تلك الأشياء التي كان يرتديها الزنوج ويضفون عليها طابعاً دينياً مقدساً يستمدون منه الحظ والفأل الحسن .راجع قباري محمد اسماعيل /علم الإجتماع والفلسفة /ج٣ /ص١٠٥ .

[٨٦] راجع اميل بوترو /العلم والدين في الفلسفة المعاصرة / ص٥٣

[٨٧] راجع يوسف كرم / تاريخ الفلسفة الحديثة /٣١٨ .

التقدم .هذه النتيجة . لن تنشأ عن إعادة الحماقات اللاهوتية التي يحبذها المذهب التقليدي ، ولا عن انتصار ، ماورائيات روحانية صبيانية ، بل عن الحس الدقيق بالمسائل التي يجب طرحها جانباً ،بوصفها مسائل غير قابلة للحل ،وإحصاء أهم قوانين الكون الممكن معرفته ،ودراسة القوانين التي تخضع لها ".[٨٨]

مما سبق يتضح أن أوجست كونت يهاجم بشدة الميتافيزيقا بشكل عام ، وينكرالألوهية ويبطل كافة الأديان التي يدين بها الناس بكافة أشكالها ، ، لأنها تقوم علي الإيمان بالغيب ،والغيب في نظره أخطر خرافات الدين التي تزيف الواقع . وبذلك فإن فلسفة أوجست كونت تقوم بالدرجة الأولي علي الفصل بين العالم الظاهر للعيان من الأفكار والإعتقادات و "الغيبيات "، بحيث حصر العلم والمعرفة في دراسة الأشياء الظاهرة بغرض اكتشاف العلاقات القائمة بينهما ؛ في حين رد كل بحث في الأسباب البعيدة وحقائق الأشياء وما وراء الطبيعة "الميتافيزيقا " ،معتبراً ذلك مجرد ميتافيزيقا عقيمة . ولذلك قسم كونت مراحل تطور الإنسانية إلي ثلاثة : الدينية ، الميتافيزيقية ، والعلمية .لكن كونت الذي أحس بأهمية الدين في حياة الأفراد والمجتمعات عاد فاقترح علي الناس ديناً جديداً سماه : الإنسانية "ووضع له كل التفاصيل التي جعلت منه ديانه حقيقية من وجهة نظر كونت ، وخلاصته أنه يجب أن نعمل لصالح كائن أعلي هو" البشرية "، وبذلك نضمن خلودها ، وفي نفس الوقت نضمن خلودنا نحن أيضاً عبرها وهكذا بدأ كونت فيلسوفاً وضعياً،ولكنه انتهي نبياً مبشراً[٨٩] وأهم ما يميز هذا الدين أنه يخلو من الإيمان بذات إلهية حقيقية تتجه إليها قلوب العباد بالتضرع والرجاء ، وبذلك لم يستطع كونت أن يتخلص من قلق الفطرة ، فالتدين خصيصة النوع الإنساني ، فوضع الإنسانية ، محل الألوهية ،وهي فكرة مطلقة

---

[٨٨] أندريه كريسون /تيارات الفكر الفلسفي / ص٣٨٤ .

[٨٩] راجع يوسف كرم / تاريخ الفلسفة الحديثة / ص ٣٢٧ وما بعدها ، راجع إلياس بلكار /الغيب والعقل دراسة في حدود المعرفة البشرية / ص ١٢٧ / المعهد العالمي للفكر الإسلامي .

ولكنها تتشخص في شخصيات الأبطال والعظماء الذين خدموا الإنسانية وبذلك نفي كونت فكرة الألوهية من أساسها .وأقصي عن دائرة المعرفة مالا يخضع للملاحظة الحسية المباشرة ،وحصر المعرفة الإنسانية في المادي المحسوس المشخص الذي لا سبيل إلا معرفته إلا بالمنهج الوضعي التجريبي ، وذهب إلي ان الحقائق كلها نسبية وليست هناك حقائق ثابتة ، ولنا أن تتساءل هل يختلف العلم عن الدين ؟ وهل هذه النظرة الساخرة من الأديان هي من ابتكار أوجست كونت أم أنها ترديد لصدي مجون قديم ؟ بمعني هل رفض الميتافيزيقا له جذورة الضاربة في أغوار التراث الفكري ؟ هذا ما سنعرفه إن شاء الله بعد حديثنا عن موقف أوجست كونت من الوحي أومن نشأة العقيدة الدينية، وسوف نقوم إن شاء الله في بداية المبحث القادم بالرد علي كل هذا الغثاء الذي جاء به الرجل ،وسيكون الرد في ضوء العقيدة الإسلامية .

المطلب الرابع :

موقف "أوجست كونت" من الوحي أو من نشأة العقيدة الدينية :

نظر أوجست كونت إلي الدين علي أنه من ضع الإنسان ،وظاهرة اجتماعية لا تختلف عن غيرها من الظواهر ، وطبق أوجست كونت قانون الحالات الثلاث علي الدين ، ورأي أن الدين أول ما ظهر في البشرية ظهر في صورة الخرافة والوثنية ، وبارتقاء العقل البشري وتطوره تدريجياً توصل الإنسان إلي عقيدة التوحيد ، ولم يدرك أوجست كونت أن الدين وإن كان فطرياً في النفس البشرية ، إلا أن الإنسان لم يترك لفطرته ،بل كان الوحي الإلهي هو المعلم الأول الذي أخذ بيده إلي عقيدة التوحيد الصافية .

قسم "أوجست كونت "العصر اللاهوتي إلي مراحل ثلاث هي :

١- المرحلة الفتشية . - المرحلة الوثنية . ٣- المرحلة الموحدة .

ففي المرحلة الفتشية تكون العقول البدائية علي حالة لا تستطيع معها التفرقة بين الأشياء الحية والجمادات ، وتفترض أن هناك آلهة تعيش في هذه الأشياء ، حتي أنها تنسب إليها تأثيرات مختلفة.[٩٠] ثم أعقب هذه المرحلة مرحلة ثانية : وفيهااستطاع العقل البشري أن يفرق بين الشئ بوصفه مادة جامدة وبين القوي المحركة له ، ثم أصبحت هذه القـوة إلهاً يؤثر فيه من الخارج ، وبذلك ظهرت مرحلة الشرك الوثني ، أو مرحلة تعدد الآلهة.[٩١] ثم يصل الفكر الديني إلي أوج تطوره في مرحلة "التوحيد الخالص "[٩٢]

---

[٩٠] راجع أندريه كريسون /تيارات الفكر الفلسفي / ٣٥٣ / راجع تاريخ الفلسفة الحديثة / يوسف كرم / ص٣١٨

[٩١] راجع قباري محمد اسماعيل / علم الإجتماع والفلسفة / ح٣ /ص ١٠٥ .

[٩٢] المرجع السابق /ص ١٠٦ / راجع أيضاً يوسف كرم / تاريخ الفلسفة الحديثة / ص ٣١٨

مما سبق يتضح أن كونت يرفض عالم الغيب بإطلاقه ، ويطعن في كل معرفة تأتي عن طريق الوحي ، لأنه لا يؤمن أصلاً بوجود الإله الموحي سبحانه ، فكيف يؤمن بوحي جاء من عند موح لا يؤمن هو بوجوده ، وبذلك هاجم كونت بحدة كل تفكير ميتافيزيقي ورأي أنه يجب علي المفكر الوضعي أن يقلع تماماً عن التفكير بالطريقة الدينية والميتافيزيقية، فيترك البحث عن العلل الأولي المطلقة ، ويقلع عن البحث عن تعليل الظواهر بكيانات مجردة، ويحصر جهوده فيما هو ممكن . بل إننا نجده يتعسف ويصف هذا التفكير

بأنه أصـــبح ضاراً وبالياً ، في عصر التقدم العلمي ، وأن العلم سيقضي علي جميع التفسيرات الدينية والميتافيزيقية ، عـن أصل الإنسان ، وعن الغاية من وجوده ، وعن الكون الذي من حوله ، وسيقدم العلم تفسيرات علمية جديدة لكل هذه المسائل .

يقول كونت: " حتي الآن كانت المذاهب اللاهوتية والميتافيزيقية هي الأفكار العامة الوحيـــدة التي كونها العقل الإنساني لنفسه عن وجود الكون ، وقد أدت هذه المذاهب وظيفة ضرورية ، بل ما كان من المستطاع أن يولد العلم الوضعي أو ينمو دونها ، ولكن كما أن هذا العلم وارثها ، فهو عدوها أيضاً ، ولم يكن بد من أن يفضي تقدمها إلي انهيارها ".[٩٣] فكلما تقدم الإنسان في الدراسة الوضعية ، ترك بالتدريج التفسيرات اللاهوتية والميتافيزيقية ، فلم نعد في حاجه إلي إفتراض أسباب الظواهر ، بل يكفي تصور أن هذه الظواهر خاضعة لبعض القوانين وستختفي طريقة التفكير الميتافيزيقي ، عندما نعتاد تصور جميع أنواع الظواهر علي غرار الطريقة السابقة.[٩٤]

---

[٩٣] ليفي بريل / فلسفة أوجست كونت / ص ٤٦ .

[٩٤] المرجع السابق / ٤٧ .

مما سبق يتضح لنا أن كونت يري أن :

١ ــ تقدم العلم سيقضي علي التفكير الديني والميتافيزيقي .

٢- معرفة القوانين التي تخضع لها الظواهر، تغني عن معرفة الأسباب والمسببات ، وهنا نلمح اعترافه ضمنياً دون تصريح منه بالميتافيزيقا النقدية ، والتي تعني كما يقول د . زكي نجيب محمود :" أن نوحه جهودنا التحليلية نحو العلوم ونتائجها ، لنري متي تعوج ومتي تستقيم ، وهل هي يقينية الصدق أم لا .؟...فذلك ضرب من الميتافيزيقا سديد منافع ومقبول ".[٩٥]

٣- التفكير الميتافيزيقي عديم الجدوي ولا فائدة من ورائه سوي الجدل العقيم ، وظاهر للعيان أنه يقصد التأملية ، أي الدين .

يقول : "الآن وقد شعر التفكير الوضعي بكيانه شعوراً تاماً ، أصبح من الممكن أن نشرع في عملية تطهير منظمة ، ترمي إلي تحريره من كل عنصر غريب جاءه من قبل التفكير اللاهوتي والميتافيزيقي".[٩٦]

والخلاصة التي ينتهي إليها كونت " أن نضع إكليلاًعلي جبين مفكري العصرين اللاهوتي والماورائي تقديراً لما أسدوه من خدمات في الماضي ، ولكن فيما يخص المستقبل ، فلنتخل عن طرائقهم ، وعن نظرياتهم . إن الإنسانية أنهت مرحلتي الطفولة والمراهقة ودخلت سن النضج . "[٩٧] ونلمح من هذا النص أن أوجست كونت يريد أن يقول بصراحة أن الدين عائق عن التقدم والتحضر والإرتقاء ، لذلك ينبغي اقصاؤه تماماً من الحياة ، وأن الغرب كان متخلفاً في

---

[٩٥] زكي نجيب محمود / موقف من الميتافيزيقا / المقدمة ص ج .

[٩٦] ليفي بريل / فلسفة أوجست كونت / ص ٣٤٣ .

[٩٧] أندريه كريسون /تيارات الفكر الفلسفي / ص ٣٢١، ٣٢٢ .

ظل الدين فلما أزاحه من طريقة تقدم وحقق فتوحاً واسعة في مجال العلم والحضارة .[٩٨]

ولكن مما ينبغي ملاحظته " أن اعتبار الدين مرحلة في حياة الأمم ، وأن الأمم الغربية قد تجاوزت هذه المرحلة ، وأن الدور الذي احتاجت فيه البشرية إلي الدين قد انتهي ، وأن الشرية أصبحت في العصر الحديث مضطرة لمواجهة الدين ومجابهته ، فهذا الفكر يتصل بأوربا في عصر معين وفي مجال الصراع

بين الدين والعلم ، فهو ليس قضية عامة بشرية يمكن أن تطبق علي كل الأمم ، وكل الأديان لانتفاء الظواهر والعوامل الأولية التي فرضت هذه النتائج من أفق العالم الإسلامي .....والواقع أن النظرة العلمية الأصيلة تكشف عن أن الدين ليس مرحلة في حياة الأمم ولا حياة البشرية . لأنه بدأ بها وسينتهي إليها . فهو عنصر أصيل وكيان عضوي لم يتخلف عن تركيب الإنسان : عقله وروحه وحياته ولا سبيل إلي انتزاعه منه .

لذلك فإن الدين لم يمت ولن يموت ، وأن الفكر الغربي الذي فرض أنه كان مرحلة سبقتها مراحل من الوثنية وتبعتها مراحل من العلم ، هو تصوير قاصر وغير مستوعب وربما أراد به أوجست كونت أن يصور الفكر الغربي علي أنه الفكر البشري كله وهو ما ليس صحيحاً .....والدين لا يموت لأنه منذ تعالت هذه الصيحات قبل مائة عام لم تتقلص ظاهرته ، وهو لا يموت لأنه غريزة أصيلة في الإنسان كامنة ، والغريزة لا تموت وإن انضمرت في بعض الحالات تحت ركام من العقائد النفسية والمشاكل الدنيوية ، فإذا زال هذا الركام برزت صافية ".[٩٩]

---

[٩٨] راجع أنور الجندي / أخطاء المنهج الغربي الوافد / ص ٥٥ / الموسوعة الإسلامية العربية (٦)/دار الكتاب اللبناني /١٩٨٢ .

[٩٩] أنور الجندي / الموسوعة الإسلامية العربية / (٦)أخطاء المنهج الغربي الوافد / ص٥٦ ، ٥٧ .

مما سبق يتضح أن أوجست كونت ينكر الميتافيزيقا التأملية - وهي المتمثلة في الدين -إنكاراً يجعلنا نفكر ما هي الأسباب التي جعلت أوجست كونت يقف هذا الموقف من الميتافيزيقا ؟ للإجابة علي هذا السؤال نقول :إن ذلك يرجع إلي أن الحضارة الغربية ولدت وترعرعت في عصر قد ثار علي الدين وأسسه من الإيمان بالغيب ، وفي أمة قد ثارت علي الذين تزعموا الدين واستغلوه لشهواتهم وأنانيتهم ،ووقوفهم عقبة في سبيل التقدم وحرية العقل والعلم ، فترافق نشؤ الحضارة والصناعة والإتجاه المادي العنيف . الذي ينظم الحياة علي أسس مادية خالصة ويقطع صلة المجتمع والبشرية عن فاطرها ومصرف هذا الكون .[١٠٠]

ولقد كان لظهور مصطلح الوضعية – علي يد أوجست كونت – ارتباط وثيق بهذه الظروف والأحوال .

---

[١٠٠] **أبو الحسن علي الحسيني الندوي / الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية في الاقطار الإسلامية / ص ٢١٠ / دار القلم / الكويت /ط الرابعة / ١٤٠٣ ه – ١٩٨٣ م .**

المطلب الخامس :

الجو الذي نشأة فيه الوضعية يتمثل في :

أولا : اضطهاد الكنيسة للأسلوب العلمي في التفكير ، حيث حرمت كل تفكير يخالف تقاليد البابوية وسادت النزعة النصية ، وتحكم الكتاب المقدس في شتي المجالات .[١٠١] لذلك كان من الطبيعي أن تتجه المقاومة إلي الدين نفسه ، فقد استقر في أذهان الأحرار التلازم بين الدين ورجاله ،وخاصة أن البابا كان يعتبر نفسه نائباً عن الله في الأرض.[١٠٢]

ثانياً: اعتناق الكنيسة لبعض النظريات التي أراد لها أن تظل المعرفة محصورة فيها لا تخرج عنها ، وضاق العلماء بذلك فقامت حرب بينهما لا هوادة فيها ونكلت الكنيسة بكثير من العلماء ، ولكن الموجه العلمية قد سيطرت علي العقول ، وأراد بعض الناس أن يبعدوا سلطان الكنيسة عن العلم، فقرروا أن لكل من الدين والعلم موضوعه الخاص به .[١٠٣]

ولقد قام المذهب الوضعي بآداء هذه المهمة ، وهاجم الدين والميتافيزيقا علي السواء تحت عنوان الميتافيزيقا والمثالية[١٠٤] العقلية مستترا وراء ذلك .

---

[١٠١] كرين برينتن / أفكار ورجال : قصة الفكر الغربي / ص ١٧٧ ترجمة محمود محمود / القاهرة / مكتبة الأنجلو المصرية / ١٩٦٥ ./ راجع أيضاً منهج البحث الإجتماعي بين الوضعية والمعيارية / محمد محمد أمزيان / ص ٢٧ / المعهد العالمي للفكر الإسلامي.

[١٠٢] المرجع السابق / ص ٢٧

[١٠٣] راجع د. سفر عبد الرحمن الحوالي / العلمانية نشأتها وآثارها في الحياة الإسلامية المعاصرة /ص ١٥٠ وما بعدها / مؤسسة قرطبة للنشر والتوزيع / ط أولي / ١٤٠٢ ه – ١٩٨٢م

[١٠٤] أول من استعمل لفظ المثالية في اللغة الفلسفية فلاسفة القرن السابع عشر ، ولا سيما ليبنتيز الذي جعل المثالي في مقابلاً للمادي . ثم أطلقت المثالية بعد ذلك علي الأفلاطونية ، لقول أفلاطون بالمثل ، وهي نماذج العالم الحسي ، وصوره ، وأصوله / راجع جميل صليبا / المعجم الفلسفي / ج ٢ / ٣٣٧/ دار الكتاب اللبناني / ١٩٨٢ .

ثالثاً : سيطرت الرغبة علي بعض الفلاسفة في معارضة الكنيسة . وبما أن الكنيسة تملك نوعاً خاصاً من المعرفة تستغله في خصومة المعارضين ، وهو المعرفة الدينية أو المعرفة الميتافيزيقية بوجه عام ، فجاء هذا المذهب لمعارضتها ومعارضة معرفتها .[١٠٥]

رابعاً : أن فلسفة عصر التنوير وهي " الفلسفة العقلية أو المثالية " في نظر فلاسفة الوضعية، قد أفلست فيما أرادت أن تصل إليه . وهو ابعاد التوجيه الكنسي كلية عن توجيه الإنسان ، إذ مالت هذه الفلسفة إلي تتأييد الدين والوحي من جديد .[١٠٦]

مما سبق يتبين مدى كره أوجست كونت والوضعية كلها للدين أو الميتافيزيقا التأملية ، حيث ولد في زمن فتنه وافتتان ، فتنة الكنيسة ، وافتتان الناس بالعلم التجريبي ، وهذا ما جعله يكفر بالأديان كلها . وذلك لأنه عاش في بداية حياته في أسرة كاثوليكية متدينة ، فعرف من خلالها جمود الكنيسة وعدائها للعلم والعلماء ، وبما أنه عاصر المفكرين الملحدين مثل أستاذه سان سيمون ، وعاصر أحداث ما بعد الثورة الفرنسية ، والتي فتحت باب الحريات علي مصراعيه ، فكانت تمكيناً للعلماء في مواصلة أبحاثهم ، وللملحدين في تسطير إلحادهم ، وللمجرمين أيضاً في تجاوز الآداب والأخلاق . ورأي أوجست كونت عند ذلك أن المرحلة الوضعية هي أفضل المراحل التي وصل إليها الإنسان ، وأدرك أن الإنسانية لابد لها من دين تدين به ، فاخترع للإنسانية دين يجمعها ، فأصبح رسولاً لهذا الدين ، فطار برسالته المعجبون فى كل مكان ، وحملها رعاع الفكر في بعض دول أوربا وأمريكا . وقد بني دينه علي إلحاد وفساد . فضلاً عن قصوره في فهم المجتمعات البشرية ، وبذلك أعطي أوجست كونت الدليل الواقعي علي أن

---

[١٠٥] راجع د . محمد البهي / الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالإستعمار الغربي /ص ٣١٥ / مكتبة وهبة / ط الرابعة .

[١٠٦] المرجع السابق / ص٣١٥

الدين لا يمكن أن يكون مصيره الفناء ، لأنه ينبع من فطرة الله التي فطر الناس عليها .

المطلب السادس:

هل هذه النظرة الساخرة من الأديان هي من ابتكار أوجست كونت أم أن رفض الميتافيزيقا له جذوره الضاربة في أغوار التراث الفكري ؟

للإجابة علي هذا السؤال نقول : أن هذه النظرة الساخرة من الأديان ليست مبتكرة ، كما أن هذه الإساءات إلي ما وراء الطبيعة "الميتافيزيقا " من الأشياء المعروفة منذ وقت طويل ، فهي ترديد لصدي مجون قديم كان يتفكه به أهل السفسطة[١٠٧] من اليونان، وكانوا يروجونه ضمن ما روجوه من المغالطات والتشكيكات ، ولم يفعل أوجست كونت شيئ سوي أن ردد هو والوضعيون معه أقوال هؤلاء السوفسطائيين ، وألبسوها رداء العلم لتظهر ملائمة للعصر الذي ظهرت فيه ، وهو عصر التقدم العلمي .

حيث ترجع نواة هذا التيار إلي القرن الخامس عشر قبل الميلاد، حيث تصدي لهدم الميتافيزيقا المذهب

---

[١٠٧] السفسطة : عند الفلاسفة هي : الحكمة المموهة ، وقيل أيضاً هي قياس ظاهره الحق وباطنه الباطل ، ويقصد به خداع الآخرين . والسوفسطائي : هو الحاذق في الخطابة والفلسفة ، ثم أطلق بعد ذلك علي كل دجال مخادع . / راجع جميل صليبا / المعجم الفلسفي / ج ١ / ص ٦٥٨ . والسوفسطائيين : جماعة من معلمي البيان شككوا في العقل وفي الحقائق المطلقه ، وأدت آرائهم إلي بلبلة الأفكار في المجتمع اليوناني راجع وولترستيس / تاريخ الفلسفة اليونانية /ص ٧٨ وما بعدها / ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد / ط أولي /١٤٠٧ ه-١٩٨٧م .

السوفسطائي وأصحاب مذهب الشك عموماً . حيث ردت السوفسطائية المعرفة إلي الحس ، وقد اشتهر – برتاجوراس[١٠٨] – بعدم مبالاته بالدين وهو صاحب المثل القائل " الإنسان هو معيار كل شيئ ، معيار ما هو موجود فيكون موجود ، ومعيار ما ليس بموجود فلا يكون موجوداً "[١٠٩]

فالسوفسطائية ردت المعرفه إلي الحس ، فانتهت بذلك إلي القول بأن الفكر لا يقع علي شيئ ثابت ، ومن ثم امتنع إصدار الأحكام ، وبطل القول بوجود حقيقة مطلقة . وبذلك رفض السوفسطائيين البحث الميتافيزيقى "فشاع القول بالنسبية وفقد الكثيرون منهم إيمانهم بالحقائق المطلقة وأصبح هدف الفلسفة الجدل المجرد لا لطلب الحق أو إضافة اليقين . "[١١٠]

وهناك أيضاً أصحاب المذهب الذري[١١١] "فديمقريطس "[١١٢] مثلاً يجد في مذهب الذرة أو الجزء الذي لا يتجزأ حلاً وسطاً بين التغيير والثبات

---

[١٠٨] بروتاجوراس : هو فيلسوف سوفسطائي ازدهر في حوالي ٤٥٠-٤٤٠ قبل الميلاد ، اشتهر بأنه معلم الخطابة، قال عن الآلهة : " لا أستطيع أن أعلم إن كان الآلهة موجودين أو غير موجودين " راجع الموسوعة الفلسفية المختصرة / ص ١٢٠

[١٠٩] د عزت قرني / الفلسفة اليونانية حتي أفلاطون / ص ٦٤ / جامعة الكويت / ١٩٣٩ م . / راجع أيضاً بييرد و كاسيه / الفلسفات الكبري / ص ٣٧ / راجع الموسوعة الفلسفية المختصرة / ١٢٠ .

[١١٠] د . محمد عبد الله الشرقاوي / مدخل نقدي لدراسة الفلسفة / ص ٩٣

[١١١] الذري هو "المنسوب إلي الذرة ، أو المتصف بصفاتها ، والمذهب الذري : مذهب فلسفي يثبت أن المادة مكونة من ذرات تتولد من تركيب خواصها جميع ظواهر الأجسام "راجع د . جميل صليبا / المعجم الفلسفي / ج ١ / ص ٥٨٩

[١١٢] ديمقريطس : فيلسوف يوناني ، عاش في القرن الخامس ق . م مؤسس النظرية الذرية . راجع الموسوعة الفلسفية المختصرة / ص ١٩٦ .

وذلك لإقتناعه بأن جميع التغييرات التي تحدث في الطبيعة يمكن ارجاعها إلي عمليات الإلتحام والإنفصال الدائمة للذرات . فتفسير "ديمقريطس " لنشأة العالم " تفسير ميكانيكي صرف ولا مكان فيه لعلة غائية "[١١٣]

ومن الواضح أن الأفكار التي نادي بها السوفسطائيون والذريون مرتبطة بالتي نادي بها أوجست كونت والوضعيون من بعده . ثم عرف بهذا المذهب في العصر الحديث "هيوم" الذي رأي أن عمل الفيلسوف وقف علي ما تأتي به الحواس والتجارب ، وليس له من عمل سوي أن يربط بين ما تأتي به الحواس والتجارب.[١١٤] وقد أنكر هيوم كل معرفة أولية سابقة علي التجربة ، وهاجم الميتافيزيقا التي لم تتقدم مثل سائر علوم العصر ، ويري أن الفلاسفة غارقون في بحر من الجهل ، ولا يجدون حلاً لأهم المسائل التي يمكن أن تعرض أمام العقل الإنساني . يقول : " إذا عرض لنا أي كتاب في اللاهوت أو الميتافيزيقا وجب أن نسأل أنفسنا هل يقوم هذا الكتاب علي التفكير الرياضي المجرد ؟ فإذا كان الجواب سلباً، فلنسأل أنفسنا هل يقوم علي التفكير التجريبي الذي يتناول حقائق الواقع في هذا الوجود ؟ فإذا كان الجواب سلباً وجب أن نلقي

---

[١١٣] د . عزت قرني / الفلسفة اليونانية حتي أفلاطون / ص ٧٦ ، ٧٧ .
د . محمد عثمان الخشت / الدين والميتافيزيقا في فلسفة هيوم/ .ص ٥٩ وما بعدها / دار قباء للطباعة والنشر / راجع أيضاً د . توفيق الطويل / أسس الفلسفة / ص ٢٧٩

[١١٤] راجع د . محمد البهي / الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالإستعمار الغربي / ص ٢٧٥

بالكتاب في النار ونحن آمنون .....وإلا لا يمكن أن يحوي هذا الكتاب إلا السفسطة والوهم والخداع "[١١٥]

فرفض الميتافيزيقا إذن ليس أمراً حديثاً ، وإنما له جذوره الضاربة في أغوار التراث الفكري ، ابتداءً من المذهب النسبي السوفسطائي قديماً ، إلي رفض الميتافيزيقا حديثاً علي يد هيوم ، وأخيراً تعرضت الميتافيزيقا لهجوم عنيف علي يد أوجست كونت كما وضحنا سابقاً . والآن نقف لنقد وتفنيد آراء أوجست كونت ، وبيان الحق فيها ، وسيكون النقد في ضوء تعاليم الإسلام وهديه .

---

[١١٥] **د . محمد عثمان الخشت / الدين والميتافيزيقا في فلسفة هيوم/ .ص ٥٩ وما بعدها / دار قباء للطباعة والنشر / راجع أيضاً د . توفيق الطويل / أسس الفلسفة / ص ٢٧٩**

المبحث الثاني

نقد وتفنيد آراء أوجست كونت

المطلب الأول : فساد رأي أوجست كونت في انكار الميتافيزيقا الدين "،"عالم الغيب" .

إن أخطر ما قرره أوجست كونت هو : انكار عالم الغيب بإطلاقه ، والوقوف عند عالم الظاهر المحسوس ، وهذا يعطي لفلسفة أوجست كونت عجزاً شديداًعن الإحاطة والتعمق والفهم لأساس الوجود البشري ، وقيام المجتمع الإنساني ، ورسالة الإنسان ومسؤوليته في الكون ، ، وما يترتب عليه من جزاء في يوم البعث . وانكار الغيب : إنما يعني انكار الألــوهية والنبوة والوحي ورسالة السماء المنزلة علي الأنبياء . فما أعظم جهل الإنسان ، حين يغرق في الوسائل ويذهل عن الغايات ، ويشتغل بالقشور ويضل عن اللباب . ولقد أخطأ أوجست كونت عندما قصر المعرفة اليقينية علي الحس والعقل معا ، وأهمل ما عداها "الميتافيزيقا " "عالم الغيب " فهو لا يؤمن إلا بما تقع عليه حواسه ، وما لا يدخل في دائرة الحواس فغير مصدق ولا موجود ، فضل وأضل لأن :

أولاً : الحواس محدوده : فإذا اعتبرنا الحواس هي الأصل في المعرفة ، فإننا حينئذ سنسقط من حسابنا أشياء كثيرة جداً ، فالحواس محدودة ، فمن حيث العدد : هي خمس أو ست ، وهذا غير كاف لإدراك كل شيئ ، وضعفها ظاهر ، فالإنسان يري علي مسافة معينة ، ويسمع بعض اهتزازات الأصوات ذات الموجات المناسبة للجهاز السمعي ، وكذلك بقية الحواس .

والبصر يخدع ، فإننا نري القلم الموضوع في كأس من الماء مكسور ، مع العلم أنه غير مكسور ، ونري عن بُعد الماء في الصحراء ، فإذا اقتربنا لم نجد شيئاً وإنما هو سراب ، ويتعطل الإبصار في الظلام ،

وإذا اقتربت مـــن شجرة تجدها كبيرة ، فإذا ابتعدت عنها صغرت في عينك .

والورقة مربعة إذا نظرت إليها من أعلي ، بينما غير ذلك إذا نظرت إليها من جانبها ، فإذا كانت المعرفة الحقة هي ما تنقله الحواس ، فقد نقلت الحواس متناقضين عن شيئ واحد ، فإما أن يكون الإثنين حقاً أو باطلاً . وهذا لا يمكن أن يقول به عاقل .

وإذا أخذنا بالنظرة الحسية فإننا سنجعل الصغير والراشد في ادراكهما للأشياء مثل بعضهما . لأن كليهما يملك الحواس ، وهذا باطل ، إذ يبطل التعليم والتفوق العقلي والذهني . ثم إن النظرة الحسية تجعلنا مساويين للحيوانات إذ هي تملك الحواس أيضاً .[١١٦] فالحواس قليلة ومحدودة كماً وكيفاً . وإذا كانت هذه طبيعتها في الماديات . فالأولي أن لا نعتمد عليها في إدراك الغيبيات .

وقد اكتشف العلم الحديث أن الفضاء مملوء بالصور التي لا نستطيع أن نشاهدها ، لفقد التوافق بين وضعها ووضع أبصارنا ؛ كما أنه مملؤ بالأصوات التي هي فوق مستوي سمعنا ، أو دون مستواه ، ونحن لا نسمع من ذلك شيئاً ، كما استطاع العلم الحديث أن يكتشف الأجهزه الخاصة التي باستطاعتها التقاط الأصوات والصور من الجو لتنقلها إلينا ، بعد أن تحولها إلي صور وأصوات تتناسب مع مستوي ووضع أسماعنا وأبصارنا .

وهناك أشياء كثيرة جداً في واقعنا نؤمن بها إيماناً قوياً دون أن نتصل بها عن طريق الحواس اتصالاً مباشراً ؛ وإنما نؤمن بها عن طريق الإستنتاج . مثلاً : تسمع وأنت في داخل غرفتك طرقاً علي الباب فتستنتج بلا تردد أن طارقاً يطرق الباب عليك دون أن تري أو تسمع صوته ؛ ذلك

---

[١١٦] راجع د . أحمد أمين ، ود. زكي نجيب محمود / قصة الفلسفة اليونانية / ص ١٤٧ ، وما بعدها ط الثانية / مكتبة دار الكتب المصرية / ١٩٣٥ م .

لأنك تعلم يقيناً أن الباب لايدق نفسه بنفسه ، فتقول : لابد أن يكون هناك طارق طرقه .[١١٧]

ويرد د . عبد الرحمن حنبكة علي أوجست كونت وأمثاله فيقول : لابد أن ألفت النظر إلي خرافة يتحامق بها بعض صغار العقول من الملحدين : إننا لا نسلم بوجود أشياء لا نحس بها . كانهم يتصورون أن حواسهم تستطيع أن تكشف كل شيئ من حولهم ! والعلم كل يوم يكتشف أشياء جديده من حولنا ، وداخل تركيبنا ، والناس في الأجيال السابقة لم يحسوا منها طوال الزمان الغابر شيئاً . إن إنكارهم هذا إعلان عن ضآلة أفهامهم ، ومنتهي جهلهم ، إنهم يبرهنون علي أنفسهم أنهم جهلاء صغار العقول مجازفون في انكار حقائق الكون القائمة دلائلها فيه !!

ثم يذكر قصة طريفة متصلة بهذا الموضوع فيقول : لقد رد طفل بإشراق فطرته علي بعض هؤلاء المتحامقين من الملاحدة رداً لاذعاً فيه التهكم والإقناع معا . قال المتحامق : نحن لا نؤمن بوجود أي شيئ حتي نـــراه ، ولا نسلم به حتي نشاهده . وجعل يضرب الأمثلة الواهية علي ذلك ، إلي أن توصل إلي موضوع وجود الله ، فقال : نحن لم نشاهد الخالق فهو إذن غير موجود . فقام الطفل الصغير المنصت في زاوية هذا المتحامق الملحد فقال له : يا أستاذ نحن كلنا لم نر عقلك الذي تفكر به ،فأنت إذن لا عقل لك ،" فبهت الـــــذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين " .[١١٨]

فعلاً أقرب ما يقال للوضعيين وغيرهم من الحسيين ، أنكم لم تروا عقولكم فكيف تقولون بوجودها ؟ فإن قالوا هي موجودة ، فقد فقد

---

[١١٧] د .عبد الرحمن حسن حنبكة الميداني / العقيدة الإسلامية وأسسها / ص ١٧ / ط الثانية / دار القلم / ١٣٩٩ه ــ ١٩٧٩ م .

[١١٨] المرجع السابق / ١٧ .والآية من سورة البقرة /رقم ٢٥٨ .

أبطلوا نظرياتهم . وإن قالوا غير موجودة فلا نتعب في نقاش من لا عقل له .[١١٩]

والخلاصة : أننا نستفيد من الحواس في المجال الذي تصل إليه ، أما غير ذلك فله وسائل أخري . والله سبحانه وتعالي هو الذي أعطانا الحواس ، وبنفس الوقت كلفنا بالإيمان بالغيب . فدل هذا علي أن هناك وسائل أخري للمجالات التي لا تصل إليها الحواس . ولو أردنا أن نعتمد علي الحواس لبقينا علي جهلنا بما وراء الطبيعة . ثم إن تكليف الله لنا بالإيمان، يدل علي أن لا تعارض بين استعمال الحواس والإيمان بالغيب . إذ لكل مجاله ومصدره .

ثانياً : العقل محدود :

أما العقل : فلا يشك عاقل أنه محدود بين الزمان والمكان ، وهو محدود أيضاً إذ يعجز في بعض الأحيان أن يرجح أحد الإحتمالين . " فللعقل حداً ينتهي إليه كما للبصر حداً ينتهي إليه ".[١٢٠] ثم لا ننسي ارتباط العقل بالحس ، فالعقل يعتمد علي الحواس في كثير من الحالات ، حيث أن المقاييس التي يعتمد عليها ، وهي الاستقراء والقياس عرضة للخطأ ، لأنها تبني أحكامها علي ما تأتي به الحواس . يقول د . عبد الحليم محمود : الاستقراء الذي هو أساس المفهومات العامة والقضايا الكلية لا ثمرة له لأنه عرضة للتغيير " كل معدن يتمدد بالحرارة "قضية من قضايا الإستقراء العامة ، ولكن المعادن لم تكتشف بعد بأكملها ، ومن الجائز أن يكتشف معدن لا يتمدد بالحرارة .

---

[١١٩] راجع محمد باقر الصدر / فلسفتنا / ص ٥٩ وما بعدها / دار المعارف / ط ١٢ / ١٤٠٢- ١٩٨٢ م .

[١٢٠] د . عبد الرحمن الميداني / العقيدة الإسلامية وأسسها / ص ٢١

والقياس مبني علي الإستقراء ، والمناطقة لا يشترطون في مقدمات القياس أن تكون صادقة ، وإنما يشترطون أن يسلمها المتجادلون فحسب ، فما فائدة القياس .[١٢١]

كما أن العقل كثيراً ما يضل وينحرف في أحكامه بسبب التقليد الأعمي لموروثات الآباء والأجداد ، فيعبد غير الله ، إذ عبد الإنسان الكواكب والأصنام والنار . قال تعالي : " بل قالوا إنا وجدنا آباءنا علي أمة وإنا علي آثارهم مقتدون ".[١٢٢] وقال أيضا " ألم أعهد إليكم يا بني آدم ألا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدوٌ مبين "[١٢٣] ولأن العقل لا يصل إلي الغيب أخرج العلماء الغيب من دائرة الإجتهاد ، وأطلقوا عليه اسم السمعيات، أي التي لا تؤخذ إلا بالسماع من الوحي .

" فالعقل مقيد بعالم الحس لا عمل له في الحكم علي عالم الغيب "الميتافيزيقا "، فعالم الغيب لا تستطيع عقولنا أن تحكم علي شيئ فيه بإثبات أو نفي استقلالاً ذاتياً ، إلا أن يأتيها خبر يشهد العقل بإمكان وجوده وبصـــــدق نـــاقله . وعند ذلك تسلم بمضمونه تسليماً تاماً دون مناقشة أو إعتراض ."[١٢٤]

يقول سيد قطب رحمه الله الإسلام يعتبر الوحي هو المصدر الصادق الّذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، ولا يخضع للهوي ، فهو أعلي المصادر ، وفي الوقت ذاته لا يلغي العقل والمعارف التي تتلقاها الكينونة الإنسانية من الكون مع فارق واحد ،

---

[١٢١] راجع المنقذ من الضلال / لحجة الإسلام الغزالي / بقلم عبد الحليم محمود / ص ١٣ / ط الثالثة / ١٩٦٢ م. /مكتبة الأنجلو المصرية .

[١٢٢] سورة الزخرف / آية ٤٢.

[١٢٣] سورة يس /آية ٦٠ .

[١٢٤] د . عبد الرحمن حسن حنبكة / العقيدة الإسلامية و أسسها / ص ٢٠ / راجع علي الطنطاوي / فكر ومباحث /ص ٢٨ وما بعدها / مكتبة المنارة / ط الثانية / ١٤٠٨ ه ــ ١٩٨٨ م .

وهو : أن المعرفة التي يتلقاها الإنسان بمداركه قابلة للخطأ والصواب ، أما الوحي فهو الحق واليقين .[١٢٥]

وبهذا نقول لأوجست كونت أن العقل والحس قاصرين عن الوصول إلي المعرفة اليقينية " فيما وراء الطبيعة "مع عدم التقليل من أهميتهما ، لذلك كانت الحاجة ماسة إلي المصدر اليقيني الذي لا يرقي إليه الشك ، ولا يكون عرضة للإحتمال والخطأ ، ألا وهو " الوحي الإلهي " .وهذا هو ما أنكره أوجست كونت بالكلية ، نظراً لإلحاده وقصور عقله ، وجهلة .

ثالثا : التجربة محدودة : اعتمد أوجست كونت علي التجربة كمصدر من مصادر المعرفة اليقينية ، ونحن نقول له أي معرفه ؟إن لكل علم مصدر ، والعلوم المادية كمعرفة من المعارف تتبع بدقة في التجربة ، أي في علوم الكون والحياة ، أما فيما يتعلق بالميتافيزيقا "ما وراء المادة " فلا سبيل للإستفادة من التجربة . لأن المنطلق التجريبي يقصر عن نيل المعرفة في هذا المجال ، وسبب قصوره أنه لا يستطيع احضار عناصر التجربة ليقيم تجربته ، والتجربة يستعمل فيها المادة المجرب عليها ، وحس المجرب وعقله ، وقد أبطلنا كون الحس والعقل من الوسائل المستعملة في إدراك الغيب . ونفس الغيب لا يجتمع كمادة أمام المجرب ليقيم تجربته ، فبطلت التجربة لبطلان عناصرها الثلاثة . فالتجربة قامت علي العقل وما قام علي غير معتمد أصبح غير معتمد ، وتتبج أوربا بالمذهب التجريبي الذي يقرر أن التجربة هي المصدر الأول لجميع المعارف البشرية ، ولا يعترف بمعارف ضرورية سابقة علي التجربة .[١٢٦]

ومع كل ما سبق فإن المنهج التجريبي يرتكز علي معارف لا تخضع للتجربة مثل :

---

[١٢٥] راجع سيد قطب /خصائص التصور الإسلامي ومقوماته / ص ١٣٨ / دار الشروق / ط العاشرة / ١٤٠٨ – ١٩٨٨ م .

[١٢٦] راجع محمد باقر الصدر / فلسفتنا / ص ٧٤ / وما بعدها .

١- مبدأالعلية : بمعني امتناع الصدفة .
٢- مبدأ الإنسجام بين العلة والمعلول .
٣- مبدأ عدم التناقض .

والإعتماد علي هـــذه المعارف يبطل مبدأ التجربة كمصدر كلي للمعرفة .[١٢٧]

رابعاً : الغيب : " الميبافيزيقا " "ما وراء الطبيعة " حقيقة واقعة لا شك فيها :

أنكر أوجست كونت الغيب ، وآثر الإصراف عن القضية كلها ، واهمالها ، انطلاقاً من عجز العقل عن إدراك الحقائق النهائية ، ويأساً من بلوغ ما وراء الطبيعة ، أوكشف كنه الغيب أو الله .

فهو ينكروجود الله عز وجل ،والرسالة والملائكة والوحي واليوم الآخر ، وحجته في ذلك أنه لم يراها .ونحن نقول له ولأمثاله :هذه حجة باطلة بطلاناً بيناً لكل منصف ، إذ متي كان الإنسان أن ينكرشيئاً لمجرد عدم رؤيته له ،وهذه أرواحنا السارية في أجسامنا لا نسمعها ولا نراها ولا نلمسها ، ومع ذلك فهي موجودة حقاً نؤمن بها ونحرص عليها ، ونحن وإن لم نحس بأرواحنا احساساً ظاهراً فقد آمنا بها استدلالاً من آثارها فينا

وهناك أشياء كثيرة ندركها بآثارها : قطعتان من حديد احداهما مشحونة بقوة مغناطيسية ، والأخري غير مشحونة ، ولا نستطيع أن نفرق بينهما إلا إذا عرضناهما لبرادة الحديد . فإذا انجذبت البرادة نحو القطعة ، فإننا بالإستدلال العقلي ندرك أنها مشحونة والأخري غير مشحونة .[١٢٨]

يقول د . مصطفي محمود : "ليس من حق الأصم أن ينكر الأصوات ، ولا الأعمي أن ينكر نور الشمس لمجرد أنه لا يراه . وفي هذا العصر

---

[١٢٧] نفس المصدر / ص ٨٣ وما بعدها
[١٢٨] راجع عبد الرحمن حنبكة / العقيدة الإسلامية وأسسها /ص ٢٣

الذي اكتشفنا فيه من صنوف الإشعاع والأمواج مما تضج به السماء حولنا مما كنا لا ندرك أو نحس له أثراً.....في مثل هذا العصر يصبح إنكار الغيب والمجهول سذاجة عقلية "[١٢٩]

إن عدم الإدراك لا يعني عدم الوجود ، فعدم قدرتنا علي رؤية الله والملائكة والجن ، وعدم ادراكنا للغيب لا يعني انكاره لأن الإدراك الحسي كما قلنا سابقاً محدود بل هو أدني درجات التفكير والعلم . وقد أخبرنا الله تعالي أنه موجود ، وأنه خالقنا ، وأخبرنا عن عالم الغيب ، وعن وجود الملائكة والجن والشيطان . قال تعالي : " ليس البر أن تولو وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين "[١٣٠]

وقد أخبرنا أن الشيطان يرانا هو وقبيلة من حيث لا نراهم ، قال تعالي : " إنه يراكم هو وقبيلة من حيث لا ترونهم ".[١٣١] كما أن الروح تعرج إلي السماء . قال تعالي : " تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة "[١٣٢] . فكيف يرتقي فهم الإنسان ليفهم حركة الروح والملائكة ويفهم وجود الشياطين الذين لا نراهم . ويفهم حقيقة الروح التي يعيش بها وهي غير مرئية .

إن فهم عالم الغيب والإيمان به نوع من التفكير المجرد ، وذلك لمحدودية الحواس لحكمة قدرها الله عز وجل ، فيكون الإيمان بالغيب هو أعلي درجات التفكير. وإذا بقي أوجست كونت والوضعيون متمسكون بما تدركه الحواس فقط ، عليهم أن يمحوا من قاموس العلم الطبيعي أشياء كثيرة لا يرونها ، وإنما يفترضون وجودها بحكم الضرورة إليها مثل

---

[١٢٩] د . مصطفي محمود / الله في الإسلام / ص ٩٤ / طبع بمطبعة أخبار اليوم /قطاع الثقافة

[١٣٠] سورة البقرة / آية ١٧٧

[١٣١] سورة الأعراف / آية ٢٧

[١٣٢] سورة المعارج ، آية ٤

الأشعة الكونية ، والجاذبية العامة ، وأشعة اكس وجاما وفوق البنفسجية ، وتحت الحمراء ، والأمواج الصوتية للراديو والتليفزيون .[١٣٣]

قول العقاد عن هؤلاء الحسيين :" يجيئ الماديون في الزمن الآخر فيحسبون أنهم جماعة تقدم واصلاح للعقول ، وتقويم لمبادئ التفكير ، والواقع أنهم في إنكارهم كل ما عدا المادة يرجعون القهقري إلي أعرق العصور في القدم ليقولوا للناس مرة أخري إن الموجود هو المحسوس ، وإن المعدوم في الأنظار والأسماع معدوم ، وكل ما بينهم وبين همج البداءة من الفرق في هذا الخطأ أن حسهم الحديث يلبس النظارة علي عينه ، ويضع المسماع علي أذنيه ، ويحسبون علي هذا أنهم يلتزمنون حدود العلم الأمين حيث يلتزمون حدود النفي ، في مسألة المسائل الكبري وهي مسألة الوجود "[١٣٤]

فكون هذه الغيبيات غير محسوسة لا يعني إنكارها كما قلنا ، بل يعني أن عقولاً عظيمة هي فقط التي تستطيع أن تستوعبها . قال تعالي : " إنما يخشي الله من عباده العلماء ".[١٣٥] فعلم الإنسان ما هو إلا منحة من علم الله .قال تعالي : "علم الإنسان مالم يعلم "[١٣٦] وما يملك البشر من علم ليس إلا قطرة من بحر علم الله ، قال تعالي : " وما أوتيتم من العلم إلا قليلا ".[١٣٧] فكيف يجادل الإنسان الضعيف الذي هو من صنع الله وجود الله ، والغيب والبعث ، قال تعالي : "وكان الإنسان أكثر شيئ جدلا "[١٣٨]

---

[١٣٣] راجع د .عبد الرحمن حنبكة / العقيدة الإسلامية وأسسها / ١٥ .ما بعدها

[١٣٤] عباس محمود العقاد / الله في نشأة العقيدة الإلهية / ص ٥٢ / منشورات المطبعة العصرية .

[١٣٥] سورة فاطر / آية(٢٨)

[١٣٦] سورة العلق / آية (٥)

[١٣٧] سورة الإسراء / آية (٨٥)

[١٣٨] سورة الكهف / أية (٥٤)

خامساً : الغيب في مفهوم الفكر الإسلامي يختلف عن الغيب بمفهوم الفكر الغربي :

الإيمان بالغيب في منهج الإسلام دعامة أصيلة راسخة ، وهو يختلف اختلافاً كبيراًعما وصفه الغرب بأنه التفكير الغيبي الذي عرفته أوربا في العصور الوسطي ، والذي كان مجموعة من الأساطير والخرافات وركام الفكر البشري القديم من السحر والأوهام والأهواء التي شكلتها الثقافات الوثنية ، هذا هو بعينه التفكير الغيبي الذي هاجمته مفاهيم الإسلام حين جاءت بالمنهج العلمي الأصيل القائم علي البرهان والدليل ، والتحرر من الهوي ، وانكار مواريث الآباء ة الأجداد، وإلتماس الحقيقة من خلال الإيمان بالله القائم علي عقيدة التوحيد الخالص . ولقد أطلق الإسلام العقل البشري من قيودة التي كانت تأثره حول المعابد ، ومن أيدي الكهنة من ذوي الأديان المختلفة ، فارتفع إلي مستوي الإعتقاد بحياة وراء هذه الحياة .[١٣٩]

كما أن محاولة محاكمة الإنسان إلي منهج التجريب هي اقتطاع لمصدر كبير من مصادر المعرفة ، وتخط لقيمة كبري من قيم البحث الأصيل ، فأوجست كونت يصف كل ما ليس محسوس أو مشاهداً بالغيب ، ويصف هذا الغيب بأقصي الأوصاف . فإن نقل هذا المعني إلي أفق الفكر الإسلامي ، كان كأنما هو في مواجهة الدين نفسه . وحقيقة الأمر أن الغيب في مفهوم الفكر الغربي يختلف عن الغيب بمفهوم الإسلام .

إذ الغيب في الفكر الغربي صورة من صور الجاهلية والوثنية التي جاء الإسلام لدحضها والقضاء عليها . ولكن أتباع الفكر الغربي لم ينقلوا هذا المعني في اطار الصورة التاريخية ، وإنما حاولوا نقله ليكون في مواجهة مفهوم الغيب الإسلامي الذي هو حقيقة أساسية في العقيدة الإسلامية . ويقوم علي بينات أصيلة من الوحي والقرآن الذي لا يتعارض

---

[١٣٩] أنور الجندي / الموسوعة الإسلامية العربية (٦) / أخطاء المنهج الغربي الوافد / ص ٥٩ .

أبداً مع المنهج العلمي بل يكمله ويضع له الجانب المواجه لعالم الشهادة المادي الذي يقف الغرب عند أبوابه .[١٤٠]

ففي القرآن الكريم التقي العقل والوحي لأول مرة ، وقد يعرض الدين شيئاً يتجاوز حدود الفهم . ولكنه لا يعرض شيئاً يتجاوز حدود الإدراك.[١٤١]

وبناء علي ذلك " فإن الفكر الإسلامي ينكر أن الفكرة الانسانية قاصرة علي معطيات الحواس ، ولكنه لا يفضل بين العقل والوجدان ، فلا يكبر العقل البشري ولا يلغيه ، ولا يعارض العلم ،ولكنه لا يسلم بأنه كل شيئ ، فالعلم علي قوته لا يتناول سوي مظاهر الحياة الخارجية، وهو لا يستطيع أن يقول الكلمة الأخيــرة ، ولا يستطيع أن يتجاوز دائرته في مجال المادة .....فلا يصادم العقل ولا يعارض الروح ، ولا يخالف طبائع الأشياء ومن ثم فلا يقع الإلحاد في دائرته ".[١٤٢]

من هنا فإن المنهج العلمي الإسلامي يتعارض مع المنهج العلمي الغربي في أصول متعددة أهمها :

١- فكرة التقدم ٢- فكرة التطور .
٢- ٣- فكرة نسبية الدين والأخلاق .

أما التقدم : فالمنهج الغربي ينظر إليه في اطار مادي ، ولذلك فهو يحكم بأن البشرية تجري في طريق الإرتقاء جيلاً بعد جيل . أما التقدم

---

[١٤٠] المرجع السابق / ص ٦١
راجع الشيخ محمد عبده / رسالة التوحيد / تحقيق د . محمد عمارة / ص ١٩ ، ٢٠ / دار الشروق / ط أولي / ١٤١٤ ه – ١٩٩٤ م
[١٤١] راجع الشيخ محمد عبده / رسالة التوحيد / تحقيق د . محمد عمارة / ص ١٩ ، ٢٠ / دار الشروق / ط أولي / ١٤١٤ ه – ١٩٩٤ م
[١٤٢] أنور الجندي / الموسوعة العربية الإسلامية (٦) / أخطاء المنهج الغربي الوافد / ص ٦٢ .

في مفهوم الإسلام : فهو تقدم معنوي ومادي في نفس الوقت ، أما التقدم المادي وحده فليس مقياساً صحيحاً .

أما فكرة التطور المطلق : فلا يوجد تطور مطلق ، وإنما هو تطور في اطار الثبات ، من حيث القول بأن الحاضر أكثر تقدماً من الماضي

أما فكرة نسبية العقائد :فهي مستمدة من فكرة التطور المطلق ، لأنها تجعل من الدين مجموعة من المبادئ النسبية ،بينما الدين حقائق مطلقة ، واعتبارها قابلة للتطور يجعلها تتطور إلي مالا نهاية .أما الدين الحق ، فإنه في اطار واسع محكم مستقبل لكل المتغيرات دون أن يفقد أصوله وحدوده وضوابطه الثابتة الراسخة علي مدي الزمن .[١٤٣]فالإسلام يؤمن بما يتبدل وما يتغير حسب البيئات والعصور في اطار ما هو ثابت راسخ ، وذلك في ضوء العقيدة الإسلامية الكبري التي لا تفصل الدين عن الدنيا ، ولاتفصل الدنيا عن الآخرة .

إن أبرز ما يتسم به المنهج العلمي الإسلامي ، ويختلف تماماً عن المنهج العلمي الغربي : هو الترابط بين المادي والروحي في الإنسان . والفصل بين الله الخالق والكون المخلوق ، أما هذا الترابط فليس ثنائية ، ولكنه تكامل . وأما هذا الفصل فلا يمثل فراغاً ولكنه يحدد العلاقة الحقيقية بين الله والكون .

والإعتقاد بأن الإنسان جسم فقط ، ينقص الإنسان أكبر عناصر الإنسانية وهي النفس أو الروح أو ذلك الوجدان المدرك الذي وصف من أجله بأنه من أولي الألباب ، فإذا تجاوزنا هذا الجانب في الإنسان سقطت فكرة المسؤولية الفردية والإلتزام الخلقي والجزاء الأخروي . ومفهوم المنهج العلمي في الإسلام يقيم الترابط والتكامل بين شطري الحياة والإنسان . فيقدم هذا المنهج : فطرة الله في الحياة ، وفطرة الله في الغيب . عالم الحياة فتح الله للإنسان فيه آفاق العلم والبحث . وأعطاه فهم النواميس والقوانين التي تمكن من بناء الحياة وإقامة

---

[١٤٣] المرجع السابق / ص ٦٣ .

العمران . وعالم الغيب رسمه الله للإنسان بالوحي صورة كاملة ليحمي عقله وكيانه من البحث وراءها بالعقل المجرد الذي لا يستطيع أن يصل بمفرده إلي اكتناه أسرار هذا العالم . هذه هي سنة الفكر الإسلامي وقانونه الأكبر الذي يقدم عليه منهجه العلمي ، فالله خالق والإنسان مخلوق ، الله هو الأول والآخر ، والكون له أول وآخر .[١٤٤] وبهذا يظهر لنا أن الفلسفة الوضعية التي وضعها أوجست كونت مذهب مادي حسي إلحادي ، وقد ثبت بالدليل القاطع بطلان وفساد هذا المذهب ، فالرجل واهم ومخرف

عندما وقف هذا الموقف المعادي للغيب الميتافيزيقي بوجه عام ، فمن ينكر الغيب كمن ينكر ضوء النهار في فلق الصبح . فالعالم ينقسم إلي غيبي ومشهود .وهذا ما سنعرفه في النقطة التالية إن شاء الله.

سادساً : العالم غيبي ومشهود : ينقسم العالم إلي مادي مشهود وغيبي ميتافيزيك ، وهذا هو نفس تقسيم القرآن الكريم (عالم الغيب والشهادة) والنصوص القرآنية تشير إلي هذه الحقيقة يقول الله عز وجل في سورة الحشر : " هو الله الذي لآ إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم "[١٤٥] وقوله تعالي في صورة الرعد : "عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال "[١٤٦]

الغيب : كل أمر غاب عن مجال إدراكنا الحسي حسب العادة .

الشهادة : كل أمر نستطيع أن نتوصل إلي شهوده بالوسائل الحسية حسب العادة . ونلاحظ أن الله يقدم الغيب عن الشهادة . والحكمة في ذلك ، أن الأمور المغيبة عنا لا تتناهي سعة ومدي ، أما الأمور التي يمكن أن نتوصل إلي شهودها ومعرفتها فهي أمور يسيرة قليلة ، قال

---

[١٤٤] راجع أنور الجندي / أخطاء المنهج الغربي الوافد / ص ٦٣ وما بعدها / راجع إلياس بلكار / الغيب والعقل دراسة في حدود المعرفة البشرية / ص ١٢٧ / المعهد العالمي للفكر الإسلامي

[١٤٥] صورة الحشر / آية (٢٢)

[١٤٦] سورة الرعد /آية (٩)

تعالي في سورة الإسراء "ويسئلونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا "[١٤٧]

<u>وينقسم عالم الغيب إلى قسمين :</u>

١- قسم قابل لأن يكون من عالم الشهادة إذا تهيأت للمخلوقات شروط مشاهدته .
٢- قسم غير قابل لأن يكون من عالم الشهادة لأنه مما إستأثر الله بعلمه لنفسه .ولا تستطيع حواس المخلوقات ولا مداركهم ادراكها ؛ قال تعالي :"قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله وما يشعرون أيان يبعثون "[١٤٨]

والعقيدة الإسلامية تقوم علي الإيمان بأصول لا تخضع للحس المباشر أو غير المباشر ، وإنما تقع في مجال عالم الغيب الذي استأثر الله بعلمه لنفسه ، فالإيمان بالله –سبحانه وتعالي – هو إيمان بالغيب ، لأن ذات الله تعالي غيب بالقياس إلي البشر ، والإيمان بالأخرة وما يتصل بها ، هو كذلك إيمان بالغيب ، والإيمان بالملائكة إيمان بالغيب ، كل هذا غيب يؤمن به المؤمن ، الذي يريد الهداية " ذلك الكتاب لا ريب فيه هدي للمتقين "[١٤٩]

والإيمان بالغيب نزعة فطرية فطر الله الإنسان عليها ، لا ينكرها إلا جاحد قاصر العقل والعلم . و لذلك فإن التنكر لعلم الغيب ، يبدو في مفهوم العلم الحديث نفسه جهلاً وضلالاً وبعداً عن الحق ، والعلم المادي لا يستطيع أن يحكم علي عالم الغيب لأنه خارج عن مجاله ، فلا يجوز علمياً انكار شيئ لأجل أنه يغيب عنا أو لأنه غير محسوس بحواسنا ، أو لأنه غير قابل للتفسير . وكم من الأمورالتي يتلقاها

---

[١٤٧] سورة الإسراء / آية (٨٥)
[١٤٨] سورة النمل / آية (٦٥)
راجع عبد الرحمن حنبكه / العقيدة الإسلامية وأسسها / ص ٢٨ ،٢٩ .
[١٤٩] سورة البقرة / آية (٢)

الناس بعامة والعلماء بخاصة ، يتلقونها بالتسليم وهم لم يروها ولم يحسوها.[١٥٠]

ولذلك فإن كل ما تدعو إليه العقيدة الإسلامية وتقوم عليه من هذه الأمور الغيبية غير متناقضة مع العقل ، وليس عنده وسيلة لإنكارها والتكذيب بوجودها ، وليس فيها شيئ يضطر الإنسان إلي رفضه والتخلي عنه ، وذلك بعد بلوغه أي مرحلة من مراحل الإرتقاء العقلي والعملي . بل الذي يقتضيه العقل علي خلاف ذلك : أنها هي الصواب الذي لا يشوبه الخطأ ،أما الإيمان والتصديق بهذه الأمور الغيبية فهما مرتهنان بطمأنينة الضمير وشهادة الوجدان ، وكل ما للعقل الدخول في شأنهما هو أن الأمور التي يكون التصديق بها مخالفاً للعقل فإن صراعاً يقوم بشأنها بين العقل والوجدان ، ولا يكون إيمان الإنسان بها إلا ضعيفاً . وأما الأمور التي لا يكون التصديق بها مخالفاً للقياس العقلي أو التي يساعد العقل علي التصديق بها ، فإن الضمير يزداد طمأنينة في شأنها ، وذلك مما يقوي الإيمان ويزيده أصالة ورسوخاً .[١٥١]

ولذلك فإن الطريق إلي معرفة عالم الغيب والتصديق به، إنما يكون عن طريق الخبر الصادق الذي يأتينا عن طريق الوحي ، كما يكون عن طريق الآثار التي تدل عليه ، كما أن الفطرة السليمة تتلقي ذلك بالتسليم والتصديق.[١٥٢]

وهذه الخاصية للعقيدة الإسلامية تميزها عن غيرها من المذاهب الفكرية المادية التي تتنكر للغيب ، ولا تؤمن إلا بما تقع عليه الحواس ، ويخضع للتجربة الحسية ، علي نحو ما ذهب إليه أوجست كونت ومن

---

[١٥٠] راجع د. عثمان جمعة ضميرية / عالم الغيب والشهادة في التصور الإسلامي / ٥٧ وما بعدها / مكتبة السوادي / بجدة / ١٤٠٨ هـ.

[١٥١] راجع أبي الأعلي المودودي / الحضارة الإسلامية أسسها ومبادئها / ص ١١٥ ، ١١٧ / الدار العربية / بيروت / ١٩٦٨

[١٥٢] راجع عثمان جمعة ضميرية / عالم الغيب والشهادة في التصور الإسلامي /ص ٣٧ .

علي شاكلته . وبذلك يكون الوضعي قد سجن نفسه بطريقة تحكمية في حدود حواسه الخمس منذ عهد النهضة الأوربية[١٥٣]

وبناء علي ما سبق فإن الإيمان بالغيب عنصر أصيل من عناصر الإيمان ، وبالإيمان بالغيب تتكامل المعرفة عند المسلم، فلا تكون قاصرة علي عالم الشهادة وحده، بل متكاملة مع عالم الغيب الذي أعلمنا الله تبارك وتعالي به ، وكشف لنا عنه لأن العقل والحس قاصر عن النفاذ إليه .ولقد عجز العلم ولا يزال عاجزاًعن دخول مجال الغيبيات بوسائله التجريبية ، وما زال العلم عاجز عن كشف سر الروح ، وسر الموت وسر الحياة ومهمة الإنسان فيها ، وهذا هو الجانب الذي كشفه الدين للبشرية وقدمه لنا الإسلام وصوره القرآن .[١٥٤]

سابعاً : اعتراف العلم الحديث بالعالم الغيبي وأهميته :
اعترف العلم الحديث مرغماً أن هناك عالماً غيبياً لا يعرف كنهه ، وذلك بعد انتشار نواة الذرة ، وقد وجد علاقة حتمية بين عالم الشهادة وعالم الغيب ، ولكنه لا يزال عاجزاً عن إدراك هذه العلاقة بالعلم التجريبي . وإن كان الأمر يسير عن طريق العلم الرباني . لذلك كان من الضروري للمسلم أن يفهم العلاقة بين الحياة والكون ، وبين الدنيا والآخرة ، وبين السماء والأرض ، لذلك جاء علم الغيب الذي هداه إليه القرآن ضرورة يتكامل بها الإيمان ،لأن علم الغيب يمثل الكثير من الحقائق التي هي موضع التساؤل من النفس الإنسانية ، وفي الرؤية البشرية للحياة القائمة ،وعلاقتها بالكون ، ومن هنا كان التصديق بالغيب هو صمام الأمان النفسسي إزاء كل محاولات التمزق

---

[١٥٣] راجع ألكسيس كاريل / تأملات في سلوك الإنسان / ترجمة د . محمد القصاص / ص ١٦٢ /مكتبة مصر القاهرة / ١٩٦٨ م .

[١٥٤] راجع أنور الجندي / معلمة الإسلام / ج ١ /ص٥٨ / دار الصحوة للنشر والتوزيع ./ راجع عبد المنعم خلاف / المادية الإسلامية وأبعادها / ص ٢٣ / دار المعارف / القاهرة .

والشك والصـــــراع والقلق والضياع التي يسقط في هوتها الماديون .[١٥٥]

والإيمان بالغيب هو القوة الكبري التي يعتصم بها المؤمن ازاء كل الأزمات والأحداث والمواقف التي تهز النفس الإنسانية . وهو بها يمتلك صحة نفسية وعقلية وتكاملاً في اليقين ، وعمقاً في الوعي بأبعاد الوجود كله . وهذا مصدر تحرر عقل المسلم ليرتفع فوق كل الأساطير والأوهام ، وضد عجز العلوم التجريبية التي ما زالت قاصرة عن اكتناه سر الحياة والكون .

لقد أصبح علم الغيب تساؤلاً واضحاً وحقيقة لاريب فيها في عصر الذرة . فحيث يقول العلم : الكهرباء ، المغناطيس ، الأثير ، تقول : ما هو الكهرباء ،وما هو المغناطيس ، وما هو الأثير ، لا جواب ، يقول العلم إنها أشياء مجهولة لم يدرك العلم التجريبي كنهها . ولقد تحطمت الذرة فما هي الذرة ؟ لا جواب ، ومعني لا جواب ، أنه غيب ، ومن هنا يتبين أن الغيب : هوالحقيقة العلمية الثابتة ، قال تعالي : " لله غيب السماوات والأرض وإليه يرجع الأمر كله "[١٥٦]

ونظراً لأهمية الغيب اقتصر الله عز وجل علي ذكره في مدحه للمتقين في الآيات التي سبقت من أول سورة البقرة قال ابن عاشور :"خص بالذكر الإيمان بالغيب دون غيره من متعلقات الإيمان ، لأن الإيمان بالغيب هو الأصل في اعتقاد إمكان ما تخبر به الرسل عن وجود الله والعالم العلوي ، فإذا آمن به المرء تصدي لسماع دعوة الرسول وللنظر فيما يبلغه عن الله ، فسهل عليه ادراك الأدلة ، وأما من يعتقد أن ليس وراء عالم الماديات عالم آخر ، وهو ما وراء الطبيعة ، فقد راض نفسه الإعراض عن الدعوة إلي الإيمان بوجود الله وعالم الآخرة ، كما

---

[١٥٥] راجع أنور الجندي / معلمة الإسلام / ص ٥٨ .
[١٥٦] المصدر السابق / ص ٥٩ . ، سورة هود / آية (١٢٣).

كان حال الماديين وهم المسمون بالدهريين الذين قالوا : "وما يهلكنا إلا الدهر "[١٥٧]

وأوجس كونت والوضعيون معه بإنكارهم لعالم الغيب يريدون للإنسان أن ينحط إلي درجة الحيوان ، وينحصر في عالم المادة المحسوس ،فيحرمونه من أعظم نعمة يستشعرها المؤمن ، ألا وهي قدرته علي السمو والتحلق في عالم الغيب .

يقول سيد قطب :" الإيمان بالغيب هو العتبة التي يجتازها الإنسان فيتجاوز مرتبة الحيوان الذي لا يدرك إلا ما تدركه حواسه إلي مرتبة الإنسان الذي يدرك .....أن وراء الكون حقيقة أكبر من الكون ، حقيقة الذات الإلهية التي لا تدركها الأبصار ولا تحيط بها العقول " .[١٥٨]

فالإيمان بالغيب" الميتافيزيقا " ،"" ما وراء الطبيعة " ارتقاء بالإنسسان إلي المستوي الذي يليق بإنسانيته ، ويميزه عن المخلوقات التي لا تدرك إلا ما تدركه بحواسها . والإيمان بالغيب أكبر حقيقة يعيشها الإنسان ، وأكبر مسأله من مسائل الإعتقاد . فكيف يمكن إنكارها . إن إنكار الخالق والغيب يعكس عقولاًضيقة حسية مادية عاجزة عن القيام بعمليات معرفية عقلية متقدمة تشمل التفكير المنطقي المجرد ، والتفكير المنطقي هو الذي يضع الإنسان علي أول طريق الدين ، وأول طريق العلم في آن واحد ، لأن محور الدين هو التساؤل بتلك الأسئلة الخالدة لدي كل عقل في بداية تفكيرة : من نحن ؟ وما هذا الكون الكبير ؟ ومن خلقه وخلقنا وما الغاية ؟ وإلي أين المصير؟ وهذه الأسئلة هي أسئلة عقلية كما أنها أسئلة دينية ، وقد نشأ العلم الديني والعلم بالطبيعة من نتائج الأجوبه الصحيحة عن هذه الأسئلة .وقد مزج الإسلام بين هذين النوعين من العلم ،ولم يفصل بينهما في قضية الإيمان ، بل إنه عدهما علماً واحداً هو العلم

---

[١٥٧] الطاهر بن عاشور / التحرير والتنوير / ج١ /ص ٢٣٠ / المدينة المنورة /مكتبة العلوم والحكم / ١٩٨٨م. سورة الجاثية / آية(٢٣).

[١٥٨] سيد قطب / في ظلال القرآن /ص ٢٣٩ ، ٢٤٠ /دار الشروق بيروت / ط ١٩٧٣ م .

الكلي بالكون والحياة والإنسان وامتدادها مع الله الخالق في هذه الدار الدنيا والدار الآخرة ، واعتبر نقص العلم عن هذا المستوي الشامل غفلة وجهل .[١٥٩]

وبناء علي ذلك فإننا نقول لأوجست كونت وغيره ممكن أنكر الميتافيزيقا وكل ما وراء المادة : "المادة معراج ثمين إلي ما وراءها .....وما وراءها كقطب مغناطيسي يجذب الفطرة الإنسانية ويجعلها تصعد علي ذلك المعراج بإلهام التطلع والشوق والبحث . "[١٦٠] " ففي كل ذرة تراب أو لمعة شعاع أو فحمة ظلام ، أو قطرة ماء ، أو خفقة نسيم ، روح يغمز القلوب لتستيقظ للوجود ، ومصباح عي الطريق إلي خالق الوجود ! .. وإن ما ينقص البشرية في حياتها العقلية الآن شيئ واحد .....هو أن تأخذ المادة بالتذوق الكامل بعد أن أخذتها بالحواس والذهن والحساب الآلي ..... "[١٦١]

قال تعالي : " يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون " "أولم يتفكروا في أنفسهم ما خلق الله السماوات والأرض وما بينهمآ إلا بالحق وأجل مسمي وإن كثيراً من الناس بلقآء ربهم لغافلون "[١٦٢]

والفكر الإسلامي يسلك في إثبات وجود الله الخالق والتعريف به وبصفاته ، مسلك هذا العلم المبني علي الحكم العقلي المهتدي بما في الطبيعة والنفس . فهو لم يعرف ذات الله وكنهه لأنهما فوق إدراك العقل ، ولكنه عرفـــه بصفاته المستنبطة من عمله في الطبيعة والنفس الإنسانية .[١٦٣]

---

[١٥٩] راجع عبد المنعم خلاف / المادية الإسلامية وأبعادها /ص ٢٠ .
[١٦٠] المرجع السابق / ص ٨ .
[١٦١] المرجع السابق / ص ١٠ .
[١٦٢] سورة الروم / آية (٧ – ٨) .
[١٦٣] راجع عبد المنعم خلاف / المادية الإسلامية وأبعادها / ص٢٢ .

وبناء علي ذلك ينبغي ألا نحكم العلم بمعناه الضيق – وهو العلم بجزئيات المادة وقوانينها عن طريق التجربة – في أصول الدين ، فلا نرفض أمراً معنوياً يدرك بالحكم العقلي لأننا لم ندركه بالتجربة المادية والمشاهدة الحسية . فقضية إثبات وجود الله ووحدانيته ، لا أحد يستطيع إثباتها بالتجربة والمشاهدة الحسية ، ولكن يمكن إثباتها عن طريق النقل من الكتاب والسنة ، ويسانده العقل المنطقي المهتدي بالعلم والدين ، والمستشهد بأسراره ، خاصة أن العلماء العصريين يلجئون إلي الحكم العقلي حين يريدون أن يثبتوا وجود شيئ يفترضونه حتماً ،لأنهم لم يصلوا إلي إثباته عن طريق التجربة الحسية ؛وذلك مثل حكمهم بوجود شيئ يملأ الكون المادي كله ويتخلله وينفذ إلي كل جزء فيه ، وقد سموه (الأثير) وذلك ليعللوا به وصول موجات الضوء والصوت والكهرباء عبر المسافات الشاسعة بل وفي الفضاء الكوني كله .[١٦٤]

و لا نجد تعليق علي رفض الإسلام لما ذهب إليه أوجست كونت ، أفضل وأبلغ من قول الله عز وجل : "ومن أظلم ممن افتري علي الله كذباً وهو يدعي إلي الإسلام والله لا يهدي القوم الظالمين " "يريدون ليطفؤا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون "[١٦٥]

وأخيراً نقول: إن رفض الميتافيزيقا ورفض عالم الغيب ، وإنكار الألوهية ، وتأليه المادة من صنع مجتمع له ظروفه وقيمه وعقائده ، وقد ولدت في عصر وبيئة محددين ،فهي مرتبطة بهما ، وهي بهذا التحديد لا تصلح لكل عصر ولا لكل مجتمع ، بخلاف الإسلام الذي جمع بين عالم الغيب وعالم الشهادة ، وبين السماء والأرض ، وبين الدنيا والآخرة في نظام الدين ، الروح والجسد في نظام الإنسان ، والعبادة والعمل في نظام الحياة ، وسلكها جميعاً في نظام موحد هو : الطريق إلي الله

---

[١٦٤] المرجع السابق / ٢١

[١٦٥] سورة الصف / آية (٧ – ٨) .

ثامناً : هذه الدعوى دعوى قديمة منذ أقدم العصور :

إن دعوي أوجست كونت والوضعيون ، أنهم لا يؤمنون إلا بما تدركه حواسهم ، دعوي قديمة منذ أقدم العصور ، ولقد أخبرنا القرآن عن هؤلاء الحسيين ، أنهم كانوا يشترطون للإيمان به أن يدركوه عن طريق

حواسهم قال الله تعالي : " وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله أو تأتينا آية كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم قد بينا الآيات لقوم يوقنون ".[١٦٦] وقال أيضا : " وإذ قلتم ياموسي لن نؤمن لك حتي نري الله جهرة ".[١٦٧] وقال أيضاً : "وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا أنزل علينا الملائكة أو نري ربنا لقد استكبروا في أنفسهم وعتو عتواً كبيرا ".[١٦٨] فالماديون علي مر العصور يعجزون عن تخيل خالق لا يدرك مباشرة بالحواس الخمسة ، والله عز وجل "لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير ".[١٦٩] ولهذا وصفهم الله تعالي بأنهم لا يفقهون ولا يعلمون .

فالإلحاد إذن مرض قديم وجد في الشعوب علي مر التاريخ ، ولكن أصحابه قليلون ؛ لأن مبدأهم لا يرضي الأغلبية العظمي فمن المفكرين القدماء الفيلسوف ديمقريطس كما قلنا سابقاً ، فهو من أقدم الفلاسفة الملحدين علي مر التاريخ ، أما الفلاسفة المحدثون فهناك الكثيرون ممن يشتركون مع أوجست كونت في إنكار الغيب مثل نتشه ، ،سارتر ، فنتشه هذا أعلن أن الله قد مات[١٧٠] وغيرهم الكثير والكثير ، وهؤلاء علي مر العصور قولهم واحد وفكرتهم واحدة ، إلا أننا نستطيع أن نقول أن أعنف حملة إلحاد ظهرت في التاريخ ، تلك التي كانت في القرن الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين ، علي يد أصحاب الفلسفة الوضعية وزعيمهم

---

[١٦٦] سورة البقرة /آية (١١٨) .
[١٦٧] سورة البقرة / آية (٥٥) .
[١٦٨] سورة الفرقان / آية (٢١)
[١٦٩] سورة الأنعام / آية (١٠٣)
[١٧٠] راجع زكريا إبراهيم / الفلسفة الوجودية / ص ١٢٦ / دار المعارف مصر .

أوجست كونت ، حيث تجمعت ظروف إنباته من تزمت كنسي ، ورفاهية حضارية ، وغرور علمي بسبب الإكتشافات العلمية ، ودعم هذا ثأر قديم ضد اضطهادات الكنيسة للعلم والعلماء .

ويفترض بالإنسان أن يرتقي إلي التفكير المنطقي الموصل إلي الإيمان بالله تعالي .حيث أن عظمة ودقة هذا الكون دليل علي وجود خالق عظيم ، فالكون أوسع من كرتنا الأرضية والحياة لا تنتهي بالموت . وإذا كان التوحيد هو سمة الأديان السماوية جميعاً ، فإن الوثنية هي سمة الفكر البشري الذي صنعته محاولات العقل حين يستقل بنفسه بعيداً عن دائرة الوحي ، وحين تسيطر الرغبة والهوي ، وتحاول أن تخلق أسلوباً متحرراً من الفكر الرباني ، أو يسلك طريقاً معارضاً للصراط المستقيم الذي هدي الحق تبارك وتعالي البشرية إليه .

وخلاصة ما سبق : نقول أن أوجست كونت وفلسفته المعادية للميتافيزيقا ، يرفضهما الإسلام رفضاً باتاً ، لأنها فلسفة لا تقوم علي شيئ غير الإحاد حيث أنها :

أولاً : تحاول إلتماس طريق في الحياة لا يعترف بإرادة الله .

ثانياً : أن سبب الكون يتضمنه الكون في ذاته ، وأنه ثمة لا شيئ وراء هذا العالم .

ثالثاً : التنازل عن جميع القيم الأخلاقية والإنسانية التي هي من خصائص الإنسان بإعتباره كائناً واعياً عاقلاً .

رابعاً : تتصور أن الإنسان خلق من العدم وليس للإنسان إلا حياته المحدوده .

ولقد علم الحق تبارك وتعالي عجز العلم والعقل عن كشف هذا الجانب من الحقائق الغيبية ، فقدمه للبشرية عن طريق الأديان والأنبياء والكتب المنزلة قبل تحريفها . وبذلك حرر الإنسان من البحث فيه ، ووجه العقل للعمل في ميدانه الطبيعي الأصيل في الكشف عن خيرات الأرض

وعمرانها . ولا شك أن الإنشطارية التي عرف بها الفكر الغربي حين آمن بالعلم وأنكر الوحي ، وحين آمن بالدنيا وأنكر الآخرة . هذه الإنشطارية لها آثارها البعيدة في العجز عن فهم الأمور. ولا ريب أن الإلحاد كسائر أنواع الشر طارئ علي النفس البشرية ، وليس من طبيعتها ولا هو متأصل فيها . وأن الدراسة العميقة لطبيعة النفس الأنسانية قد كشفت عن تدينها وحاجاتها إلي الدين ، وإلتماسها لربها وخالقها .[١٧١] وهذا هو ما سوف نتحدث عنه في النقطة التالية إن شاء الله .

المطلب الثاني : فساد رأي أوجست كونت في نشأة العقيدة :

زعم أوجست كونت أن الدين في أول أمره كان مختلطاً بالأساطير والخرافات والأوهام ، وكان العقل البشري يؤمن بآلهة كثيرة ، ويجعل لكل ظاهرة من الظواهر إلهاً ، ولكنه تطور تدريجياً حتي أصبح يؤمن بإله واحد فقط ، إلي غير ذلك مما عرضناه سابقاً عند حديثنا عن موقف أوجست كونت من الوحي ،وإذا رجعنا إلي القرآن الكريم لمعرفة الحق في أصل نشأة العقيدة نجد أن القرآن يقرر ما يلي :

أولاً : فطرة الدين في النفس الإنسانية : لقد فطر الله سبحانه وتعالي الناس علي الإيمان به ، كما يتجلي في قوله تعالي : " وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم من ذريتهم ، وأشهدهم علي أنفسهم ألست بربكم قالوا بلي شهدنا أن تقولوا يوم القيامه إنا كنا عن هذا غافلين ، أو تقولوا إنما أشرك أباؤنا مـــن قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون ".[١٧٢]

---

[١٧١] راجع أنور الجندي / معلمة الإسلام / ص ٦٣ ، ٦٤ .

[١٧٢] سورة الأعراف / آية (١٧٢ ، ١٧٣)

وقال رسول الله صلي الله عليه و سلم : " ما من مولود إلا يولد علي الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه ، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء " .[١٧٣]

يقول ابن القيم : المقصود بالفطرة إما أن يكون الدين وهو الإسلام ، فكل مولود يولد علي الإسلام ، ولا يعني ذلك أنه يولد عالماً عاقلاًبه ،وإنما المراد أن فطرته موجبه مقتضية لدين الإسلام، فنفس الفطرة تستلزم الإقرار بخالقه ومحبته وإخلاص الدين له . وقيل أن الفطرة : العهد الذي أخذه الله علي ذرية آدم حين أخرجهم من ظهره ، فكل مولود يولد علي الإقرار الأول بمعرفة الله عز وجل وتوحيده .[١٧٤]

ولهذا نقول : إن الفطرة في الإنسان أن يكون متديناً ، وهذا يعني أنه يؤمن بالغيب ، ونلاحظ قول الرسول صلي الله عليه وسلم (كل إنسان)حيث أن (كل) تفيد العموم ، أي ما من مولود إلا ويولد علي الفطرة وهي الإسلام . كما أن الفطرة تميل إلي إكتشاف المجهول ، ولهذا يحاول كل إنسان أن يعرف كل ما خبئ عنه ، مما يدل علي أن هذه الفطرة تسعي وراء الغيب ، والسعي وراء الشيئ يدل علي وجوده ، ولكن الله عز وجل لم يكل الإنسان إلي نور الفطرة ، بل أرسل لهم الرسل ، " عندما عرض لها موجب فسادها وخروجها عن الصحة والإستقامة..... .ترد الناس إلي فطرتهم الأولي التي فطروا عليها ".[١٧٥]

ثانياً : عقيدة التوحيد هى أول عقيدة عرفها الإنسان :

يقرر الإسلام أن عقيدة التوحيد الصافية هي أول عقيدة علي وجه الأرض ، وأن آدم عليه السلام كان موحداً، ولم يعرف الخرافات والشرك

[١٧٣] صحيح مسلم / ج ٤ / كتاب القدر / باب ٢٢ / كل مولود يولد علي الفطرة / ص ٢٠٤٧ / رواه أبو هريرة / رقم الحديث ٢٦٥٨

[١٧٤] راجع ابن القيم الجوزية / شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل / أبي عبد الله محمد ابن الشيخ أبي بكر / ص ٥٥٩، ٥٦٠ / تحرير الحساني حسن عبد الله / مكتبة دار التراث .

[١٧٥] المرجع السابق / ص ٤٩٤٤

وتعدد الآلهة ، بل كان عليه السلام مؤمناً بالله ، ولم يتوصل إلي هذه العقيدة نتيجة لقانون الحالات الثلاث الذي قال به أوجست كونت ، ولكن ذرية آدم عليه السلام هم الذين احرفوا عن العقيدة الصافية ، فاقتضت حكمته تعالي أن يرسل رسولاً لهداية البشر كلما ضلوا . قال تعالي :"كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين ".[١٧٦] وقال أيضاً : " وما كنا معذبين حتي نبعث رسولا "[١٧٧] فالتوحيد إذن هو أصل الدين في الإنسانية ، والتعدد هو الطارئ الذي جاء بعد التوحيد ، علي هذا عقيدتنا ، وبذلك يتهافت المذهب الوضعي أمام ما قرره القرآن الكريم ، حيث عكس أوجست كونت الأوضاع ، وقلب الحقائق ، حين زعم أن التعدد هو الأصل ، وأن التوحيد طارئ في آخر المراحل . كما أن الإنسان لم يخترع فكرة الدين ، ولكن الدين الحق نزل من السماء عن طريق الوحي .

يقول ابن تيمية : "فلا ريب أن الرسل صلوات الله عليهم يخبرون الخلق بما تعجز عقولهم عن معرفته ".[١٧٨] ويقول د. عبد الحليم محمود : جاء الدين هادياً في مسائل معينة وهي العقائد الخاصة بالله سبحانه وبرسله وباليوم الآخر ، وبالغيب الإلهي علي وجه العموم .[١٧٩] ويجب علي كل مكلف أن يعتقد اعتقادا جازماً أن الله تعالي أرسل جميع الرسل عليهم الصلاة والسلام بالإسلام وهو الدين الذي لا يقبل الله تعالي غيره . قال تعالي حكاية عن سيدنا ابراهيم واسماعيل عليهما السلام " ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك "[١٨٠]

---

[١٧٦] سورة البقرة / آية (٢١٣) .

[١٧٧] سورة الإسراء / آية (١٥)

[١٧٨] ابن تيمية / أبي العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم / درء تعارض العقل والنقل / ج٧ / ص ٣٢٧ / تحقيق محمد رشاد سالم / ط الثانية / دار الثقافة والنشر الجامعية .

[١٧٩] د . عبد الحليم محمود / التوحيد الخالص أو الدين والعقل / ص ١٨ / دار الكتب الحديثة .

[١٨٠] سورة البقرة / آية (١٢٨) .

" ما كان ابراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين "[١٨١] .وقال : "إن الدين عند الله الإسلام " [١٨٢] . " ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين " .[١٨٣]

ونحن نؤمن أنه بغير الدين ، ما استطاعت البشرية أن نتشئ هذا الفكر الحي الخالد ،ولظلت تتخبط في الأساطير التي تنسجها العقول المحدودة . كما أن الدين هو الذي هدي البشرية إلي الأمن النفسي والسكينه والرحمة . والحقيقة الأولي في الدين هي التوحيد ، ثم حرفت أو غيرت بالإضافة أو الحذف ، وقدمت في صورتها الصحيحة بعد ذلك في الإسلام .

وقد تأكدت هذه الحقيقة بوسائط كثيرة منها الحفريات ووقائع التاريخ بحيث لم يعد معها مجال للقول بأن الوثنية وعبادة الأصنام كانت سابقة علي التوحيد . فليس بصدق ما أزاعه أوجست كونت ، وغيره من خصوم الأديان من القول بتدرج البشر من معتقد قوامه السحر والكهانه والتنجيم والتمائم والطقوس إلي عقيدة التوحيد . ذلك أن الإنسان بالقطع بدأ موحداً ، وآدم عليه السلام أبو البشر أول من حمل رسالة التوحيد إلي الناس . أما السحر والكهانه والتنجيم فتلك هي تحولات الإنسان من التوحيد إلي الوثنية تحث تأثير الإنحراف عن الدين الحق . ولقد عملت الأديان االسماوية علي ترقية الإنسان ونقله من الفوضي إلي النظام ، ومن الصراع إلي التعاون ، ومن الخيال النظري إإلي الواقع العملي .[١٨٤]

كذلك " فقد قدم الدين للمجتمع البشري القوة الأصلية التي لا يدانيها قوة ، في كفالة احترام القانون وضمان تماسك المجتمع ، واستقرار النظام ، وإلتئام أسباب الراحة والطمأنينه فيه ، ولما كانت المجتمعات في جاحة إلي رقيب أخلاقي يوجه الناس لخير الإنسان وعمارة الأرض ، فإنه

---

[١٨١] سورة آل عمران / آية (٦٧) .
[١٨٢] سورة آل عمران / آية (١٩) .
[١٨٣] سورة آل عمران / آية ٨٥ .
[١٨٤] راجع أنور الجندي / معلمة الإسلام / ص ١٠٠ .

لا يوجد رقيب أشد قوة من العقيدة والإيمان .من أجل ذلك كان التدين خير ضمان لقيام التعامل بين الناس علي قواعد العدالة والنصفة ، وكان لذلك ضرورة إجتماعية كما هو فطرة إنسانية "[١٨٥]

من هنا يتضح لنا خطأ أوجست كونت حين اعتبرالتفكير الديني الميتافيزيقي مرحلة بائدة ومنتهية بموجب قانون الحالات الثلاث الذي يقول به . وأخطأ حين وصم هذا التفكير بالخرافة والأسطورة والوهم في بدايته ، واعتبر المرحلة الوضعية هي المرحلة النهائية التي ستقتصر عليها البشرية ، دون حاجة إلي البحث عن الميتافيزيقا و الأسباب والغايات ، بحجة أن الحديث عنها ، لم ينتج سوي الجدل العقيم والمناقشات التي لا فائدة من ورائها .وهذا هو ما سنتحدث عنه إن شاء الله

[١٨٥] **المرجع السابق / ص ١٠١**

المطلب الثالث : نقد وابطال فكرة تلاشي الدين :

لا ننسي أن فلسفة أوجست كونت كما قلنا سابقاً موقوتة بظهور النزاع في الغرب حول فصل الدين عن مجالات النشاط الإنساني ومقوماته في ميادين العلم والأخلاق والإقتصاد والسياسة وغيرها ، بسبب سلطان الكنيسة ، وربما كان هذا هو السبب الذي أدي بأوجست كونت إلي القول بأن المسيحية انقضي زمنها ولابد من الإستعاضة عنها بديانات أخري ، وظلت فكرته مصاحبة للجمهورية الفرنسية الثالثة التي فصلت بين الدين والدولة ، ومن ثم فقد إعتقد أنه تم تحلل أجزاء الديانات من الوجهة العقلية ، أي أنها لا تصمد أمام النظر العقلي ، ولكن مرد الخطأ هنا أنه إذا كانت هذه الظاهرة صادقة فيما يتعلق بالديانه المسيحية في أوربا ، فهي ليست كذلك بحال فيما يتعلق بتاريخ التفكير الإسلامي.[١٨٦] فمن الواضح لكل دارس محايد للتاريخ ، أن المسلمين أقاموا صرح حضارتهم في دولتهم العظيمة التي امتدت من الأندلس إلي قلب القارة الأسيوية ، مارة بشمال أفريقيا كلها ، بفهمهم الصحيح للإسلام ، واتباعهم لمنهج أسللافهم فهماً وتطبيقاً .[١٨٧]

فالإسلام ليس مظاهر كهنوتية أو حياة منعزلة عن الواقع ، بل هو نظام كامل للحياة يوجه الإنسان لكي يحقق كمالاته التي استحق بها خلافة الله تعالي في الأرض ، أي يحصل لنفسه وللجماعة الإنسانية أيضاً " أسمي درجة من الكمال الإنساني في الروح والخلق والمادة والعقل ، وينظم علاقته بربه عــز وجل وعلاقته بأخيه الإنسان في كل مظاهر الحياة "[١٨٨]

---

[١٨٦] راجع د . مصطفي حلمي / السلفية بين العقيدة الإسلامية والفلسفة الغربية / ص ٢٢/ دار الدعوة للنشر والتوزيع / ط أولي / ١٤٠٣ – ١٩٨٣ م

[١٨٧] جوستاف لوبون / سر تطور الأمم / ص ٩٤ / ترجمة أحمد فتحي زغلول باشا / مطبعة المعارف / مصر / ١٣٣١ه _١٩١٣ م .

[١٨٨] مصطفي حلمي / السلفية بين العقيدة الإسلامية والفلسفة الغربية / ص ٢٢ .

يقول د . عبد الله دراز : كما أننا لا نجد أمارة واحدة تدل علي قرب زوال النزعة الإستقرائية أو النزعة التعليلية ، كذلك لا نري أمارة واحدة تشير إلي أن فكرة التدين ستزول عن الأرض قبل أن يزول الإنسان[١٨٩]

ولن استطرد في الإستدلال علي خطأ ما ذهب إليه أوجست كونت بما قاله علماء المسلمين ، فهم قد عرفوا قيمة الدين من نصوص الكتاب والسنة ، بل سأعرض بعض الصيحات التي نادي بها من سبر أغوار هذه القضية من أبناء الأمم الغربية .

يقول "سيرريتشارد لفنجستون ": " إننا نعيش عالمين : العالم المادي ، والعلم الروحي (الدين) .....والأخير هو عالم القيم ، ولو أننا ضحينا به علي مذابح العلوم أو الإقتصاديات أو الإجتماعيات أو أي شيئ آخر ، لكان في ذلك هلاكنا ، مثلنا في ذلك كمثل من يحذف الفيتامينات من طعامه ، ومع ذلك فإننا لا نولي هذه الحقيقة العناية الكافية ".[١٩٠]

ويقول : "ألكسيس كارل " : " ومن الغريب أن الإنسان الحديث قد استبعد من الحقيقة الواقعية كل عامل نفسي روحي ، وبني لنفسه وسطاً مادياً بحتاً ، غير أن هذا العالم لا يلائمه ، بل نراه يصاب فيه بالإنهيار ، فقد اعتاد أسلافنا أن يعدوا وجود العناصر الروحية في وسطهم أمراً ضرورياً ، وكان الدين يسيطر علي أحداث الحياة الهامة ، ويزود كل شخص بالشجاعة التي تمكنه من العيش ، فيبدوا جيداً ، إنه يجب علي البشرية المتحضرة لكي تتجنب ترديها النهائي في وهدة التنافر والفوضي أن تعود إلي بناء المعابد في ذلك البناء الفاخر الصارم الذي يعيش فيه علماء الطبيعة والفلك ".[١٩١]

---

[١٨٩] راجع د . محمد عبد الله دراز / الدين / ص ٨٩ / دار القلم الكويت / ١٣٩٠ ه ــ ١٩٧٠ م .

[١٩٠] مقداد يالجن / فلسفة الحياة الروحية / ص ٥١ / ط الرياض / دار عالم الكتب / ١٤١٠ هـ

[١٩١] المصدر السابق / ص ٢٥ .

ويقول " بارتيلمي سانت هلير " : " هذا اللغز العظيم الذي يستحث عقولنا : ما العالم ؟ ما الإنسان ؟ من أين جاء ؟ من صنعهما ؟ من يديرهما ؟ ما هدفهما ؟ كيف بدأ ؟ كيف ينتهيان ؟ ما الحياة ؟ ما الموت ؟ .....أي مستقبل ينتظرنا بعد هذه الحياة ؟ وما علاقتنا بهذا الخلود ؟ هذه الأسئلة لا توجد أمه ولا شعب ، ولا مجتمع إلا وضع لها حلولاً جيدة أو رديئة ، مقبولة أو سخيفة ، ثابتة أو منحولة " .

ويقول " شاشاوان ": " مهما يكن تقدمنا العجيب في العصر الحاضر ، علمياً وصناعياً ، واقتصادياً، واجتماعياً ، ومهما يكن اندفاعنا في هذه الحركة العظيمة للحياة العلمية ، وللجهاد والتنافس ، في سبيل معيشتنا ومعيشة ذوينا ، فإن عقلنا في أوقات السكون والهدوء – عظاماً كنا أو متواضعين ، خياراً كنا أو أشرار – يعود إلي التأمل في هذه المسائل الأزلية ، لم ؟ كيف ؟ كان وجودنا ، ووجود هذا العالم وإلي التفكير في العلل الأولي ، وفي حقوقنا وواجباتنا " .[١٩٢]

مما سبق يتضح أنه لا غني للإنسان عن الدين ، ولن تستطيع الأيدلوجيات[١٩٣] أن تحل محل الدين ، لأنها تمنحنا التعصب والتباغض بدلاً من المحبة والتعاون ، إنها قد تمنحنا لقمة العيش ولكنها تسلبنا الطمأنية النفسية والتحرر الروحي ، والمؤكد أن الأيدلوجيات والمذاهب لن تستطيع أن تنهي علاقة الأديان بالبشر . والمؤكد أن عودة البشرية إلي الأديان هو سبيل خلاصها من التحلل والإنهيار والدمار الروحي ،

---

[١٩٢] د . سليمان دنيا / التفكير الفلسفي الإسلامي / ص٢٨١ ، ٢٨٢ .

[١٩٣] الأيدلوجية : " مجموعة الأفكار الأساسية التي تشكل نظرة المجتمع إلي نفسه وإلي العالم أو الموقف الأساسي الذي يعبر به المجتمع عن اتجاهاته في الحاضر وأمانيه في المستقبل " / د . مصطفي حلمي / السلفية بين العقيدة الإسلامية والفلسفة الغربية/ ص٢٢١ / راجع جلال الدين سعيد /معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية /ص ٧٠ /دار الجنوب للنشر /ط ٢٠٠٤

حيث أدرك الإنسان أن الكلمة الأخيرة في مصيره ليست في متناوله ولكنها ملك قوة قاهرة .[١٩٤]

و تشير الدراسات الأخيرة المعاصرة أن الدين بعامة يؤدي دورة في تغيير المجتمعات الإنسانية وقيادة حركتها ، ويتميز الإسلام بصفة خاصة بدوره الذي أثار العلماء والفلاسفة في الشرق والغرب لفاعليته وإيجابيته.

يقول الدكتور حامد ربيع : " يمكن القول بصفة عامة أن الإطار الدولي المعاصر يملك مجموعة من العناصر جميعاً تدفع لخلق مناخ معين يسمح للإسلام بالإيناع الحقيقي بحيث يمكن القول بأن هذاالإطار هو تربة صالحة لاستقبال الإسلام ولتحقيق عملية اخصاب لم يقدر للإنسانية في تاريخها الحديث من قبل أن تعاصر مثيلاً لها ".[١٩٥]

كذلك لم يدر بخلد كونت وهو يتخيل قانونه أن الحضارة الإسلامية لها تاريخها ومقوماتها المنبثقة من العقيدة ، وأن ذروتها تحققت أيام السلف الصالح وفي الأزمنة التي ارتفع فيها المسلمون إلي مستوي هذا السلف ، فهل يحق لنا أن نصف الآخذين بقانونه في مجال الدراسات الإسلامية بأنهم مقلدون ، أم أنهم – في ضوء حقائق العصر الذي نعيشه – رجعيون ؟[١٩٦]

خلاصة ما سبق أن الدين لا يمكن أن يكون مرحلة في حياة الأمم ، بل هو غريزه كامنة ، وفطرة في النفس البشرية ، لا يمكن أن تنتهي لأنها صبغة الله في كل مخلوق مدرك ، فإحساس الإنسان بوجود الخالق ، وتلهفه دائماً لمعونته وإمداداته ، وشعوره بحاجة هذا الكون الكبير في نظامه وإتقانه ، وما فيه من إبداع ، وحياة وموت ، إلي قدرته وعلمه

---

[١٩٤] راجع أنور الجندي / معلمة الإسلام / ص ١١٠ .

[١٩٥] حامد ربيع / الإسلام والقوي الدولية / ص ٣٣ / ط دار الموقف العربي / القاهرة ١٩٨١م

[١٩٦] راجع مصطفي حلمي / السلفية بين العقيدة الإسلامية والفلسفة الغربية / ص ٢١ .

وحكمته سبحانه ، إنه شعور مشترك بين جميع الناس يقوم في نفس الطفل الصغير ، والإنسان البدائي ، والجاهل والعالم ، والباحث والفيلسوف ، والعبقري ، كل هؤلاء يشعرون بشعور مشترك هو أن الله حق ، هذه هي الفطرة التي فطر الله الناس عليها كما قلنا سابقاً ، واعلاناً عن هذه الفطرة القائمة في الأنفس المدركة قال الله تعالي : " صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون ".[١٩٧] وقال أيضاً : " فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أثر الناس لا يعلمون "[١٩٨] ومهما تقدم العلم فلن يستطيع الغض من أمر هذه الفطرة ، ولن يستطيع إهمالها أو الإستعاضة عنها ، مالم تكن الفطرة في الإنسان شاذه أو مريضة ، إنها فطرة لا تنطمس إلا في نفس من بالغ في الإنحراف من الناس بدافع لا أخلاقي ، ليرضي شيئاً في نفسه ، فغشي علي مرآة فطرته الصافية ، وشد عصائب الجهل والعناد علي حسه المضيئ . هكذا فقد تظلم مرآة الفطرة في الإنسان ، بدخان نار الشهوات ، و بعض الغرائز النفسية العاتية المستكبرة ، أو بسحب الشكوك المادية ، فتختفي عنها بعض الحقائق الظاهرة في الكون .[١٩٩]

وأي شيئ أكبر شهادة علي أن نهاية العلم البشري ليست هي إطفاء غريزة التدين ، بل زيادة إشعالها ، من أن مؤسس الفلسفة الوضعية وكبار أنصارها قد انتهوا إلي الإعتراف صراحة أو ضمناً بهذه الحقيقة بناء علي تجربتهم في أنفسهم فهذا كونت الذي كان يتنبأ بأن فناء الديانات هو النهاية الحتمية لتقدم العلوم ، قد عاد في آخر أمره متصوفاً ، وكلل حياته بوضع ديانه جديده علي غرار النظام الكنسي للديانه الكاثوليكية .[٢٠٠]

---

[١٩٧] سورة البقرة / آية (١٣٨) .

[١٩٨] سورة الروم آية (٣٠).

[١٩٩] راجع د . عبد الرحمن حنبكة /العقيدة الإسلامية وأسسها / ص ٩٦ وما بعدها .

[٢٠٠] راجع د . محمد عبد الله دراز / الدين بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان / ص ٩٤ / دار القلم / الكويت / ط ١٣٧١ه ، ١٩٥٢ م

وهذا" سبنسر"[٢٠١] يقول عن المجهول : " إنه تلك القوة التي لا تخضع لشئ في العقول ، بل هي مبدأ كل معقول ، وهي المنبع الذي يفيض عنه كل شئ في الوجود " . أليس هذا " المجهول " هو بعينه موضوع الديانات ، يجيئنا الآن باسم آخر عن طريق العلم ؟[٢٠٢] ما هذه إذاً تلك القوة الغلابة ، التي لا تزيدها المقاومة إلا عنفاً واشتعالاً ، والتي تقهر في النهاية أنصارها وأعدائها علي الســـــواء ؟ أليست هي قوة الفطرة .

" التدين إذن – ولا سيما في أديان التوحيد والخلود – عنصر ضروري لتكميل القوة النظرية في الإنسان ؛ فبه وحده يجد العقل ما يشبع نهمته ، ومن دونه لا يحقق مطامعه العليا ، ثم هو فوق ذلك عنصر ضروري لتكميل قوة الوجدان ؛ فالعواطف النبيلة من الحب ، والشوق ، والشكر ، والتواضع ، والحياة ، والأمل ، وغيرها ، إذا لم تجد ضالتها المنشودة في الأشياء ولا في الناس ، ...وجدت في موضوع الدين مجالاً لا تدرك غايته ، ومنهلاً لا ينفد معينه .

وأخيراًهو عنصر ضروري لتكميل قوة الإرادة يمدها بأعظم البواعث والدوافع ، ويدرعها بأكبر وسائل المقاومة لعوامل اليأس والقنوط . وهكذا نري الفكرة الدينية تعبر عن حاجات النفس في مختلف ملكاته ومظاهرها ، حتي إنه كما صح أن يعرف الإنسان بأنه "حيوان مفكر " أو "بأنه حيوان مدني بطبعه "يسوغ لنا كذلك أن نعرفه بأنه "حيوان متدين بفطرته "[٢٠٣]

فالفكرة الدينية هي الغذاء الوافي لقوي النفس المختلفة ، والعلم سلاح ذو حدين : يصلح للهدم والتدمير ، كما يصلح للبناء والتعمير،

---

[٢٠١] هوبرت سبنسر : الفيلسوف الإنجليزي المشهور ولد سنة (١٨٢٠) من أركان النهضة العلمية في أوربا ، كان مذهبه في الحرية المتطرفة قبل نظرية النشؤ والإرتقاء ، من أتباع مذهب بنتام في السياسة النفعية المتطرفة / راجع محمد فريد وجدي / دائرة معارف القرن العشرين / ج٥ / ص ٣٦ .

[٢٠٢] د . محمد عبد الله دراز / الدين / ص٩٤

[٢٠٣] د . محمد عبد الله دراز/ الدين /ص ٩٧ ، ٩٨

ولابد من رقيب أخلاقي يوجهه لخير الإنسانية ، لا إلي نشر الشر والفساد [٢٠٤].

وبذلك فإن الدين لا يمكن أن ينتهي ، لأنه فطرة الله التي فطر الناس عليها ، بل العلم هو الذي سينتهي إذا لم يرجع إلي الدين . يقول روبرت ميلليكان العالم الطبيعي الأمريكي : " إن أهم أمر في الحياة هو الإيمان بحقيقة المعنويات وقيمة الأخلاق . ولقد كان زوال هذا الإيمان سبباً للحرب العامة وإذا لم نجتهد الآن لإكتسابه أو لتقويته فلن يبقي للعلم قيمة بل يصير العلم نكبة علي البشرية ".[٢٠٥]

---

[٢٠٤] المرجع السابق / ص ٩٩ .

[٢٠٥] المرجع السابق / ص ١٠٠ .

المطلب الرابع : نقد قانون الحالات الثلاث :

تعرض موقف أوجست كونت تجاه الميتافيزيقا لكثير من النقد، لا سيما قانون الأطوار الثلاثة ، علي نحو ما بسطه رئيس المدرسة الوضعية أوجست كونت ، ويمكن أن نلخص أهم هذه الإعتراضات كما يلي :

أولاً : قيل أن قانون الأطوار الثلاثة هو نفسه ضرب من الميتافيزيقا فهو أبعد ما يكون عن العلم الوضعي بمعناه الدقيق .[٢٠٦]

ثانياً : الواقع يكذب دعوي أوجست كونت : حيث أن نظرة واحدة إلي الواقع الذي نعيشه اليوم ، تكفي لإبطال مزاعم أوجست كونت ، حيث أنه بمقتضي الحالات الثلاث تكون البشرية قد تخلت عن التفكير الديني ، لأنه تفكير يناسب طفولة الإنسانية ، ولا يجوز له البقاء في عصر التقدم العلمي . فها نحن في المرحلة الوضعية ، ولا يزال التفكير الديني سائدا فيها جنباً إلي جنب مع التفكير اللعلمي ، وهذا أبلغ دليل علي بطلان هذا القانون ، فنحن في القرن العشرين ، وفي قلب الحضارة الأوربية ولا زلنا نسمع ونري في كل عصر تقديساً للروحانيات وشغفاً بالمعنويات .[٢٠٧]

ثالثاً : تعاصر الحالات الثلاث : فالحقيقة التي لا مراء فيها أن الحالات الثلاث "الدينية " ، و"الميتافيزيقية"، "والعلمية "تمثل تيارات وأساليب فكرية ، وجدت منذ فجر الإنسانية متعاصرة مع بعضها البعض ، وليس هناك دليل يؤكد أن البشرية اعتمدت في مرحلة من مراحل حياتها ، علي أسلوب واحد فقط من هـــذه الأساليب ، ثم تركته وانتقلت إلي أسلوب آخر .[٢٠٨]

---

[٢٠٦] د . إمام عبد الفتاح إمام / الميتافيزيقا / ص ١٤٢/ دار الثقافة للنشر والتوزيع / ١٩٨٦ .

[٢٠٧] راجع د .محمد عبد الله دراز / الدين / ص ٨٥ / ط ١٣٧٧ه – ١٩٥٢ م .

[٢٠٨] المصدر السابق ص ٨٥ /راجع مصطفي حلمي / السلفية بين العقيدة الإسلامية والفلسفة الغربية / ص ١٩ .

ويذهب الشيخ الدكتور دراز إلي أبعد من هذا فيقول : إن النظرة الواقعية تقع في البداية وتمثل مرحة الطفولة النفسية لأن مبعثها الحاجة العاجلة وصورة الحياة اليومية ، وأنها وظيفة الحس لا العقل . ثم تنبثق بعدها نظرة التعليل بالمعاني العامة ، وهي مرحلة النضج والكمال . وتأتي بعد المرحلة الأولي . أما النظرة الروحية أو الدينية التي تخيل كونت أنها في أول المراحل فهي في الواقع تأتي في آخرها حيث لا تولد في النفس إلا بعد اتساع أفقها ، حيث تتجاوز ظاهر الكون إلي ما وراءه . وهكذا ينقلب ترتيب كونت الخيالي رأسا علي عقب ، لأن الأوضاع الطبيعية للحاجات النفسية تترتب – لا كما تصوره في مخيلته – ولكن كالآتي : حاجة الحس ، فحاجة العقل ، فحاجة الروح .[٢٠٩]

وقد اعترف بهذه الحقيقة المفكرون العرب من أنصار الوضعية ، يقول د . مصطفي الخشاب : هذا القانون لا يعبر تعبيراً صحيحاً عن حركة المجتمعات الفكرية ، فهناك قضايا يفسرها الإنسان باللجوء إللي التفكير الديني ، وهناك قضايا يفسرها بالأسلوب العلمي . ومن الخطأ البين محاولة استنباط قانون عام يحكم سير الإنسانية ، ولذلك فإن قانون الحالات الثلاثة لا يتفق مع الحقائق العلمية .[٢١٠]

رابعاً : الملاحظ أنه في الطور الأول الذي يقولون أنه يتمثل في بداية العصور التاريخية ، قد اخترعت فيه صناعات عن طريق المشاهدة ومعرفة طبائع الأشياء ، وفي الطور الميتافيزيقي الذي يقال أنه شمل العصور القديمة قد وجدت فيه مشاهدات فلكية ، وعرفت هندسة إقليدس[٢١١] ، وطب أبقراط[٢١٢] ، وفي الطور الوضعي الذي يقال إنه يتجلي

---

[٢٠٩] راجع د .محمد عبد الله دراز / الدين / ص ٨٦ .

[٢١٠] راجع د .مصطفي الخشاب / أوجست كونت / ص ٨٥ / لجنة البيان العربي / القاهرة / ١٩٥٠ م ./ راجع د . إمام عبد الفتاح إمام / الميتافيزيقا / ص ١٤٢ .

[٢١١] اقليدس : من أشهر رياضي اليونان ، وجد قبل المسيح بعدة قرون ، ترجم عنه العرب كتباً رياضية غاية في النفع . راجع محمد فريد وجدي / دائرة معارف القرن العشرين / ج١ / ص ٤٣٣ / دار المعرفة / ط الثالثة / ١٩٧١ / بيروت – لبنان .

في العصور الحديثة وجد فيه كثير من دعاة الأخلاق والدين والتأمل الميتافيزيقي ، وشهد ضروباً من المذاهب الميتافيزيقية الشامخة .[٢١٣]

خامساً : عدم إلتزام كونت بالموضوعية :

لم يلتزم أوجست كونت بالموضوعية حين توصل إلي هذا القانون ، فهو قد وضع القانةن أولاً : ثم حاول بطريقة تعسفية اقتطاع أجزاء من التاريخ البشري تنطبق علي هذا القانون ، معني هذا أن كونت استخلص هذا القانون من تفكيره الخاص دون الرجوع إلي حقائق التاريخ ، فكيف يستطيع كونت أن يقف علي تطور الإنسانية ، ومبلغ تقدمها ، وانتقالها من دور إلي دور ، كما أن افتراض انتقال الإنسانية من مرحلة إلي أخري كما يعرضه كونت افتراض فلسفي ميتافيزيقي في حين أنه قرر أن مرحلة التفكير الميتافيزيقي قد انتهت .[٢١٤]

"فكونت لم يكن في الحقيقة إلا مجرد فيلسوف ، قدم لنا فلسفة وضعية ، أراد لها أن تكون فلسفة علمية "[٢١٥]

سادساً : وفضلاً عن ذلك فقد نظر أوجست كونت إلي الميتافيزيقا نظرة ضيقه شديدة الضيق ، فكان مثال الفكر الميتافيزيقي عنده هو الطلاسم المدرسية ،والمجردات والتفسيرات اللفظية ، في حين أن معظم كبار الميتافيزيقيين أنفسهم قد جعلوا من مهمة الميتافيزيقا مكافحة هذا

---

[٢١٢] أبقراط : هو ابن اقليدس بن أبقراط ، ولد حوالي سنة (٤٦٠) أبو الطب وأعظم أطباء عصره ، صاحب فكرة القسم الشهير الذي يقسمه الأطباء قبل مزاولة مهنة الطب ، توفي سنة (٣٣٧) . ق . م . راجع محمد فريد وجدي / دائرة معارف القرن العشرين / ج١ /ص٢٦.

[٢١٣] راجع د . مصطفي حلمي / السلفية بين العقيدة الإسلامية والفلسفة الغربية / ص ١٩ .

[٢١٤] راجع د . مصطفي الخشاب / أوجست كونت / ص ٧٨ .

[٢١٥] د . زكريا ابراهيم / مشكلة الفلسفة / ص ١٤٢ / مكتبة مصر / ١٩٧١ م

النوع من النظر . فميتافيزيقا "هوبز "[٢١٦]، "وديكارت "[٢١٧] فيها رد علي التعاليم المدرسية التي سادت العصر الوسيط ، وكذلك فعل "اسبنوزا[٢١٨]"وغيره ، ثم جاء "كانط[٢١٩] "ليهاجم الميتافيزيقا القديمة القطعية ، ويضع ميتافيزيقا جديدة نقدية تحليلية ، مهمتها فحص ملكاتنا وقدراتنا المعرفية . وذلك يكشف لنا عن النظرة الضيقة التي ذهب إليها كونت تجاه الميتافيزيقا .

سابعاً : وإذا كان كونت يري أن الميتافيزيقا أصبحت بقية من بقايا العهد الغابر ، وأثراً من آثار الماضي ، فيكفي لبيان خطأ هذا الرأي ، أن تقول :أن الميتافيزيقا ما زالت قائمة حتي يومنا الراهن أي بعد وفاته بما يقرب من قرن كامل . وفي استطاعتك أن تجد مجموعة ضخمة من كبار الميتافيزيقيين في الفلسفة المعاصرة من أمثال برجسون[٢٢٠] ، وهيدجر[٢٢١]

---

[٢١٦] توماس هوبز (١٥٨٨ – ١٦٧٩) فيلسوف إنجليزي ، تلقي تعليمه بجامعة اكسفورد ،صاحب كتاب "مبادئ القانون "وكتاب "الأصول الفلسفية الخاصة بالحكومة والمجتمع" . راجع الموسوعة الفلسفية المختصرة / ص ٥٠٠

[٢١٧] رينيه ديكارت (١٥٩٦ -١٦٥٠)فيلسوف فرنسي صاحب كتاب "مقال في المنهج"وكتاب "مبادئ الفلسفة " كان يعتقد أن الفلسفة هي الطريقه الوحيدة للتوفيق بين الإيمان و التقدم في المعرفة الطبيعية ، ولم يكن ديكارت ميتافيزيقياً فحسب ، بل كان عالماً طبيعياً . راجع الموسوعة الفلسفية المختصرة / ص ١٨٤

[٢١٨] باروخ سبينوزا : فيلسوف هولندي من أهم فلاسفة القرن السابع عشر ، ولد سنة ١٦٣٢ م وتوفي سنة ١٦٧٧ م كان متفقاً مع فلسفة رينيه ديكارت ، ثم انفصل عنه ، ووضع نظريته حول العقل والجسد ، في مقابل نظرية ديكارت ، ألف كتاب "الأخلاق "، و كتاب "رساله في اللاهوت والسياسة " . راجع الموسوعة الفلسفية المختصرة / ص ٢٤٨

[٢١٩] عمانوئيل كانت : فيلسوف ألماني من القرن الثامن عشر ، أحد الفلاسفة المؤثرين في الثقافة الأوربية الحديثة ، كان آخر فلاسفة عصر التنوير ، نشر أعمالاً هامة عن نظرية المعرفة ، وأعمالاً متعلقة بالدين ، وأخري عن التاريخ والقانون ، وأشهر كتبه " نقد العقل الخالص " راجع الموسوعة الفلسفية المختصرة / ص ٣٢٩

[٢٢٠] هنري برجسون : فيلسوف فرنسي حصل علي جائزة نوبل للآداب عام ١٩٢٧ ، من أهم الفلاسفة في العصر الحديث ، ألف كتاب المادة والذاكرة ، وكتاب الفكر والمتحرك ، وكتاب التطور الخلاق . راجع الموسوعة الفلسفية المختصرة / ص ١١٣

وغيرهـــــم الكثير مما يدل علي خطأ الرأي الذي ذهب إليه أوجست كونت .[٢٢٢]

المطلب الخامس : التعليق علي الدين الجديد :

لم أشأ أكتب العنوان " نقد الديانه الإنسانية " لأن نقد شئ ما يتطلب بالضرورة أن يكون هذا الشئ قد حصل الحد الأدني من الفكر المعتبر ، والفهم المتزن ، والمعالجة المقبولة لدي عامة العقلاء ، وإلا فإنه لا يكون أهلاً للنقد ، ولا مستحقاً لبذل الوقت . وهذا الذي كتبه كونت حول ما أسماه "دينا"غثاء يعلو عليه الغثاء ، وعبث وتفاهه يسمو عليه العبث ، ثم إن النقد في ذاته عمل عقلي ، وجهد فكري ، وفكر الرجل ومشروعه الذي طرحه عن دينه ، ازدراء بالعقل و إهانه للفكر ، لذلك آثرت أن أجعل ذلك تعليقاً علي كلام الرجل عن دينه المقترح وسأشير في ذلك في عدة نقاط :

أولاً : التناقض الواضح في فكر أوجست كونت ، حيث اعتبر كونت التفكير الديني تفكيراً خرافياً ملائماً لطفولة البشرية ، ثم عاد واخترع ديناً جديداً من وحي خياله سماه دين الإنسانية . فبعد أن كان في بداية حياته يعلي من شأن العقل ، ويهمل العاطفة ، نجده في آخر حياته يفعل العكس تماماً ، فيقدم العاطفة علي العقل .[٢٢٣] ويخترع ديناً من وحي خياله[٢٢٤] ولكن كونت لا يعترف بهذا التناقض حيث كان " مخبولاً .....وكانت علته بالتحديد اطضراباً عميقاً في العواطف ، جعله لا يحس وزن الجانب

---

[٢٢١] هيدجر مارتن : فيلسوف ألماني ولد سنة ١٨٨٩ م وتوفي سنة ١٩٧٦ ، درس في جامعة فرايبورغ، اهتم بمشكلات الوجود، والتقنية ، والحرية ، ومن أبرز كتبه : الوجود والزمان ، وله كتاب اسمه : المفاهيم الأساسية في الميتافيزيقا . راجع الموسوعة الفلسفية المختصرة / ص ٥٢٠.

[٢٢٢] راجع د . إمام عبد الفتاح إمام / الميتافيزيقا / ص ١٤٣ ،١٤٤.

[٢٢٣] راجع إميل بوترو / العلم والدين في الفلسفة المعاصرة / ترجمة أحمد فؤاد الأهواني / ص ٥٩ .

[٢٢٤] المرجع السابق / ص ٤٧ .

الواقعي للعاطفة في نمو تفكيره الفلسفي ".[٢٢٥] حيث إلتقي كونت بإمراة أحبها حباً شديداً ، وقد تأثر كونت في حبه المريض لهذه المرأه التافهة تأثراً مفاجئاً، ولكنه قوي أصاب حياته كلها ، ويمكن أن نستخلص من سيرة مؤسس الفلسفة الوضعية حياتين ، ومنهجين ، ومذهبين لا يمكن اتفاقها عقلاً .[٢٢٦]

ثانياً : العقيدة في هذا المذهب لا ينشئها إلا خيال مريض ، إذ كيف يستسيغ الإنسان السليم أن يتجه بالتعظيم والعبادة لأفراد من البشر مثله ، مهما بلغوا من الأسباب وسعة المعارف ؟ " فالإتهاه بالعبادة والتقديس إلي طائفة من بني الإنسان فكرة غريبة في حد ذاتها ، ولا يجد كونت مؤيدين له في قبولها والإيمان بها ".[٢٢٧]

ثالثاً : أيضاً من الأخطاء التي وقع فيها الرجل حول دينه الذي اخترعه ، أن هذا الدين الذي إخترعه الرجل هو من بنات أفكاره أو من مقترحاته ، والأديان لا تقترح ولا تطرح علي الناس كما تطرح أي فكرة أو رأي أو مشروع ، ولا توضع وضعاً ولا يتفق عليها الأفراد .[٢٢٨]

فأوجست كونت يريد من الناس أن يعبدوا أفراداًمن البشر مثلهم ، ويعتبرهم أبطالاً لأنهم خدموا الإنسانية ، وضحوا من أجل تقدمها ، وبذلك تصبح عبادة الأفراد وهم الأبطال جزاً أساسياً من عبادة الإنسانية .[٢٢٩]

ومما لا شك فيه أن الإسلام يرفض تقديس الأبطال ، ويرفض إعلاء ما سوي الله ، ولم يجعل الإسلام لطائفة من الناس حق السيطرة علي الأفراد في الإعتقادات والمعاملات ، بل قرر أن كل امرئ بما كسب

---

[٢٢٥] المرجع السسابق / ٥٦

[٢٢٦] المرجع السابق / ٥٩ .

[٢٢٧] د . مصطفي الخشاب / علم الإجتماع ومدارسة / ص ٢٦٢ .

[٢٢٨] المرجع السابق / ٢٦١ .

[٢٢٩] راجع إميل بوترو / العلم والدين في الفلسفة المعاصرة / ص ٥١ ، ٥٢

رهين[٢٣٠] ويقوم مفهوم الإسلام أساساًعلي تحرير الإنسان من كل القيود والوثنيات التي تدفعه إلي عبادة غير الله ، فهو يحرر عقله وروحه وجسـده جميعاً . ويحرره من العبودية الإجتماعية ، ومن العبودية الفكرية ، وقد وصل المسلمون إلي أعلي الغايات في العلم والثقافة ومع ذلك ظل مجري عقولهم سليم وهو الإيمان بالله .

رابعاً : اعتقد كونت أن الديانه الواقعية ، هي التي تلائم عقلية الناس في عصر العلم ، فهي ستقوم مقام الديانه التقليدية ، والتي تتطلب قبول اعتقادات لاهوتية غير مبرهنة تجريبياً ، إذ كان كونت يهدف من وراء ذلك إلي إبعاد كل المضامين الميتافيزيقية للدين ، وحصره في شئ ملموس ، فإن ذلك سرعان ما ينقلب ضد التفكير الوضعي ، ليذهب به بعيداً في متاهات غيبية ميتافيزيقية . لقد أصبح الدين مشخصاً ، وأصبحت الإنسانية الوعاء الوحيد القادر علي احتضان هذا المعني وتجسيده ، ولكن هذا لا يمنع العقل من من التساؤل حول طبيعة هذه الإنسانية ، فالإنسانية مجـرد فكرة لا توجد إلا في عقل الفيلسوف الميتافيزيقي البعيد عن الواقع ، لقد حمل كونت علي الميتافيزيقا ، ولكن ذلك لم يمنعه من اسستخدام الميتافيزيقا التي تغلب علي فلسفته إلي حد كبير.[٢٣١]

خامساً : أيضاً أخطأ الرجل حين طرح ديناً خالياً من الغيب ، وقد غفل الرجل جهلاً منه أو حمقاً ، أن الدين من حيث هو دين لا يمكن أن يقوم إلا علي الغيب ، حتي الأديان التي تعتمد عبادة الأشخاص ، أو الأوثان المادية المحسوسة ، لا تستقيم عبادتها ، إلا علي إعتقاد معتنقيها قوي غيبية تحل في هؤلاء الأشخاص أو الأوثان .

---

[٢٣٠]. راجع د . أنور الجندي / معلمة الإسلام / ٣٢ .
[٢٣١] راجع د . مصطفي الخشاب / أوجست كونت / ص ٨٥ .

وأخيراً : نلمح من وراء هذه الدعوة أموراً خطيرة تتمثل فى :

اولاً : مسخ الإسلام كدين خاتم ، نسخ الله بشريعته كل الشرائع السابقة ، وأتم الله به الدين وأكمل به النعمة . قال الله تعالي : "ومن يبتغي غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين "[٢٣٢]

ثانياً : تمييع الحق أمام الناس حتي تشب الأجيال ، وهي لا تفرق بين الأديان ، ولا تعرف الصحيح من المزيف ، والمستقيم من المعوج .

ثالثاً : خلط الكفر بالإيمان حتي تتساوي الأمور والرؤس ، ولا يعرف حق من باطل .[٢٣٣]

المطلب السادس : العلم يوصل إلي الإيمان بالله :

اعتقد أوجست كونت بحتمية انحسار الميافيزيقا والدين أمام تطور العلم الحديث ، وقدرة العقل الإنساني علي اكتشاف أسرار المادة وقوانين الطبيعة ، وتسخيرها لرفاهية الإنسان . فهو يري أن معرفة قوانين الظواهر الطبيعية ، ستغني عن معرفة الأسباب والغايات ، وهو بذلك يريد للإنسان أن يعيش في حدود المادة والحس ، دون التطلع إلي ما وراءها ، واشباع حاجة النفس والعقل في التشوق والتطلع من وراء الأسباب القريبة إلي الخالق الحقيقي لهذه الأسباب . ومن الواضح خطأ اوجست كونت وضيق رؤيته فيا ذهب إليه ، لأن البحث العلمي المتجرد عن الهوي والتعصب المذموم والعناد ، لابد أن يصل بالباحث إلي الإيمان بالله تعالي .

---

[٢٣٢] سورة آل عمران / آية (٨٥)

[٢٣٣] راجع د . جمعة الخولي / الإتجاهات الفكرية المعاصرة وموقف الإسلام منها / ص ٦١ / ط الأولي / ١٩٨٦م .

فالنفس بطبيعتها تؤمن بقانوني "السببية " ، و"الغائية " فهما مرتكزان في بداهة العقول ، حيث أن قانون السببية يقرر أن الممكنات لا يمكن أن توجد نفسها بنفسها ، ولا يمكن أن تمنح لنفسها شيئاً لا تملكه ، مثل الصفر لا يتولد عنه عدد ايجابي ، فلابد له في وجوده من سبب خارجي ، هذا السبب إن لم يكن موجود بنفسه احتاج إلي غيره ، فلا مفر من الإنتهاء إلي سبب ضروري هو مسبب الأسباب .

أما قانون الغائية : يقرر أن كل نظام متناسق مستقر لا يمكن أن يحدث عن غير قصد ، ولابد أن يهدف إلي غاية ، هذه الغايه إن لم تحقق إلا مطلب جزئي تشوقت النفس من ورائها إلي غاية أخري حتي تنتهي إلي غاية كلية هي غاية الغايات .[٢٣٤]

فالنفس بطبيعتها لا يمكن أن تقنع بمعرفة السبب القريب والغاية القريبة ، وتغفل عن الله الذي ينكره هؤلاء الوضعيون ، فالفطرة بطبيعتها تؤمن بأنه لابد من وراء الأسباب ، مسببها الحقيقي ، وخالقها من العدم ، وهو الله سبحانه وتعالي . ولنا أن نطرح سؤالاً : هل العلم التجريبي سيغني الإنسان عن الإيمان بالغيب ، وبما وراء الواقع المحسوس ؟

إن الواقع والعلم التجريبي أثبت بما لا يدع مجالاً للشك بطلان هذه الدعاوي الوضعية ، وتوالت الإعترافات علي لسان هؤلاء الوضعيون ، عن حاجة الإنسان إلي معرفة الخالق الطبيعي ، فوجوده عز وجل ضرورة عقلية لا مناص من التسليم بها ، ولا مجال لأحد أن يكابر فيها . إلا إذا فرضناه كائناً أخرق لا يذعن لقواعد المنطق ، ولا يبالي أن يبطل كل شئ في الأذهان .[٢٣٥]

---

[٢٣٤] راجع د . محمد عبد الله دراز / الدين / ص ١٠٤ ، ١٠٥ .

[٢٣٥] المرجع السابق / ص ١٠٥ ، ١٠٦

يقول الشيخ نديم الجسر : " إن فكرة الإله ، لم تخل منها الأرض منذ صار الإنسان إنسانا ، يمتاز بهذا العقل المفكر ". [٢٣٦]

ونلاحظ أن الغالبية العظمي من العلماء ، تلح عليهم الفطرة بالبحث وتجاوز ظواهر المادة ، ثم لا يلبسون أن يجدوا أنفسهم وجهاً لوجه أمام حقيقة وجود الله تعالي ، مهما حاولوا التهرب منها . ولذلك ما نزال نطالع أقوال العلماء الكونيين ، وأقوال الفلاسفة الباحثين ، واعترافاتهم علي إختلاف أ ديانهم ومذاهبهم الفكرية ، فتلاحظ فيهم إعترافاتهم الخاشعة بالخالق الواحد جل وعلا . جاء في كتاب " الله يتجلي في عصر العلم " ثلاثون مقالة لثلاثين من كبار العلماء الأمريكيين في الإختصاصات العلمية المختلفة من علوم الكون السائدة في العصر الحديث . وقد أثبت هؤلاء العلماء في مقالاتهم هذه وجود الله جل وعلا .وإليك مقتطفات من هذه المقالات مع بعض التصرف :

١- جاء في المقاله الأولي من الكتاب ، تحت عنوان نشأة العالم ، وهل هو مصادفة أو قصد ؟ كتبها "فرانك ألن "عالم الطبيعة البيولوجية : إذا سلمنا بأن هذا الكون موجود فكيف نفسر وجوده ونشأته ؟ هناك إحتمالات أربعة للإجابة علي هذا السؤال : ١- إما أن يكون هذا الكون مجرد وهم وخيال ، وهذا يتعارض مع ما سلمنا به من أنه موجود . ٢- وإما أن يكون هذا الكون قد نشأ من تلقاء نفسه من العدم ، وهذا مرفوض بداهة . ٣- وإما أن يكون هذا الكون أزلي الوجود ليس لنشأته بداية – وهذا الإحتمال يساوي ما يقول المؤمنون بالله بالنسبة لأزلية الخالق – لكن قوانين الكون تدل علي لحظة معينه ، فهو إذن حدث من الأحداث ، ولا يمكن إحالة وجود هذا المنظم البديع إلي المصادفة عقلاً ، ولذلك فهذا الإحتمال باطل . ٤- وإما أن يكون لهذا الكون خالق أزلي أبدعه ، وهو الإحتمال الذي تقبله العقول دون إعتراض ،

---

[٢٣٦] الشيخ نديم الجسر / قصة الإيمان بين الفلسفة والعلم والقرآن / ص ٣٠ / منشورات المكتب الإسلامي /.

وليس يرد علي إثبات هذا الإحتمال ما يبطله عقلاً ، فوجب الإعتراض عليه .[٢٣٧]

٢- جاء في المقالة الثانية من الكتاب ، تحت عنوان " اختبار شامل "كتبها "روبرت موريس بيدج "عالم الطبيعة ، وأول من إكتشف الردار في العالم ١٩٣٤ . وجدنا أناساً موهوبين يحدثونا عن الغيب ، يقولون إنهم رسل الله ، وما حدثونا به قسمان : ١- قسم يقولون فيه : إن لهذا الكون خالقاًواحد يجب الإيمان به . ٢- وقسم يخبروننا به عن بعض أمور الغيب التي ستحدث . أما القسم الثاني : فقد وقع كما أخبرونا به بعد مئات السنين ، وأيدت الأيام وأثبت التاريخ صدق هذه النبوءات جميعاً وهي من الأشياء التي عجزت العلوم حتي اليوم أن تجد لها تفسيراً فدل ذلك علي صحة رسالتهم ، ووجب أن نصدقهم ، فيما أخبرونا به عن الله وصفاته ، وهو القسم الأول ، لأن عقولنا لا تمنع منه بل عندنا من الشعور الداخلي ما يثبته . ثم قال : "إن الإيمان بوجود الله من الأمور الخاصة التي تنبت في شعور الإنسان وضميره ، وتنموا في دائرة خبرته الشخصية .[٢٣٨]

٣- جاء في المقالة الخامسة : من الكتاب ، تحت عنوان "فلننظر إلي الحقائق دون ميل أو تحيز " كتبها "ادوارد لوثر كيسيل " أستاذ الأحياء ورئيس القسم بجامعة سان فرانسسكو : ١- أضاف البحث العلمي خلال السنوات الأخيرة أدلة جديدة علي وجود الله ، زيادة علي الأدلة الفلسفية التقليدية . ٢- لقد عمت بلادنا في السنوات الأخيرة موجه من العودة إلي الدين ، ولم تتخط هذه الموجه معاهد العلم لدينا ، ولا شك أن الكشوف العلمية الحديثة قد لعبت دوراً كبيراً في هذه العودة إلي رحاب الله والإتجاه إليه.

---

[٢٣٧] راجع الله يتجلي في عصر العلم / تأليف نخبة من العلماء الأمريكيين بمناسبة السنة الدولية لطبيعيات الأرض / ص ١١، وما بعدها / أشرف علي تحريره / جون كلو فرمونسيما / ترجمة الدكتور الدمرداش عبد المجيد سرحان / راجعه وعلق عليه / الكتور محمد جمال الدين الفندي / دار القلم / بيروت – لبنان

[٢٣٨] المرجع السابق / ص ١٧ ، ومابعدها .

وفي نهاية المقال يقول : ولو أن المشتغلين بالعلوم نظروا إلي ما تعطيهم العلوم من أدلة علي وجود الخالق ، بنفس روح الأمانه والبعد عن التحيز الذي ينظرون به إلي نتائج بحوثهم ، ولو أنهم حرروا عقولهم من سلطان التأثر بعواطفهم وانفعالاتهم ، فإنهم سوف يسلمون - بلا شك – بوجود الله ، وهذا هو الحل الوحيد الذي يفسر الحقائق.[٢٣٩]

وبعد أن عرضنا بعض من الأقوال المؤمنة لجمهرة كبار العلماءالماديين ، الذين عاصروا النهضة العلمية الحديثة ، هناك آخرون كثيرون منبثون في مختلف المدن الكبري ومراكز الحضارة والعلم الحديث ، فهذا العلامة "البرت أينشتين " صاحب النظرية النسبية وهو حجة في الرياضيات وفي الطبيعيات ، مؤمن قوي الإيمان بوجود الله. ومن أقواله : إن أصحاب العبقريات الدينية في جميع العصور قد عرفوا بهذا النوع من الشعور الديني الذي لا ينتمي إلي نحلة ولا يتمثل الله في أمثلة بشرية . إنني لأري أن أهم وظيفة من وظائف الفن أو العلم هي : أن يوقظا هذا الشعور ، وأن يستبقياه حياً في الذين تهيأوا له .[٢٤٠]

ويقول "كريس موريس ": "إن استعراض عجائب الطبيعة ، ليدل دلاله قاطعة ، علي أن هناك تصميماً ، وقصداً في كل شئ ، وأن ثمة برنامجاً ينفذ بحزافيره طبقاً لمشيئة الخالق جل وعز " .[٢٤١] ويقول الشيخ نديم الجسر :"إن العلماء هم الجديرون بأن يكونوا من أقوي الناس إيماناً بوجود الإله الخالق الحكيم ، المدبر العليم ، بل لو قيل إنهم جديرون بذلك أكثر من بعض علماء الكلام والذين يقيمون الأدلة الإجمالية لكان حقاً . "[٢٤٢]

---

[٢٣٩] المرجع السابق / ص ٣٢ ، وما بعدها

[٢٤٠] راجع عباس محمود العقاد / الله / ص ٢٨٩ .

[٢٤١] كريس موريس / العلم يدعو إلي الإيمان / ترجمة محمود صالح الفلكي / تقديم د . أحمد زكي / ط الأولي / ١٩٨٦ / دار القلم بيروت .

[٢٤٢] الشيخ نديم الجسر / قصة الإيمان بين الفلسفة والعلم والقرآن / ص ٢٠٤ .

وهكذا ينتهي العلم التجريبي إلي الإعتراف بأن كل " تفسير للآثار بأسبابها الطبيعية يحمل في نفسه جرثومة نقصه وعجزه ،ولا يمكن أن يصل إلي حد الإقناع الشافي إلا إذا اقتلع قانةن التفكير من جذوره ".[٢٤٣]

وبناء علي ذلك فإن العلم التجريبي وحده ، لا يمكن أن يغني الإنسان عن معرفة الأسباب والغايات "الميتافيزيقا "كما زعم أوجست كونت ، بل العلم نفسه في حاجه إلي معرفتهما .

وأخيراً يأتي القول الفصل والقرار النهائي من أوجست كونت نفسه حين أصابته أزمه نفسية في نهاية عمره " وبدأ يقلب يميناً وشمالاً وكان رائعاً أن يرشح في النهاية دين الإسلام كدين وضعي للحالة الوضعية ، وقال إنه لا يمكن لدين أن يتمشي مع الحالة الوضعية إلا الإسلام ، لأنه دين عار عن الحماقات ، يتميز ببساطته وعقلنته ، وبقدرته علي إشباع رغبة البحث عن الإله ".[٢٤٤]

كما أن كونت يري أنه إن كان هناك دين يتمشي مع الحالة العلمية الموضوعية فهو الإسلام ، ، فحينما يسود العلم ، فسوف يبحث عن الإسلام ، وها هي العقول القادرة الآن في الثمانينات تتساءل حول الإسلام ، وسوف يتبلور هذا الأمر بصورة أكبر مع بداية القرن الواحد والعشرين مع شدة تأزم الإنسان .[٢٤٥]

المطلب السابع : دفاع عن الميتافيزيقا :

إذا كان إنسان العصر بحاجة ماسة إلي العلم ، فهو أيضاً بحاجه ماسة إلي التفلسف ، وإلي التأمل العقلي . وذلك بعد أن أصبحت حياته الروحية خاوية ، بسبب إنهماكه في مشاغل العيش ، وهموم المادة . وعلي هذا فالميتافيزيقا ليست خرافة كما زعم أوجست كونت وغيره من الوضعيين ، وإنما هي ضرورة علمية واستجابة روحية .

---

[٢٤٣] د . محمد عبد الله دراز / الدين / ص ٩٢ ،

[٢٤٤] د . مصطفي حلمي / السلفية بين العقيدة الإسلامية والفلسفة الغربية / ص ٢٢

[٢٤٥] المرجع السابق / نفس الصفحة .

الضرورة العلمية : تتلخص في أن العلم يقف عند حد اكتشاف القانون ،بينما الميتافيزيقي ، يبحث ليعرف السبب الخفي الذي يتحكم في التكوين البعيد لهذه الظاهرة .

أما أنها استجابة روحية: فهذا ليس مطلب إنسان واحد فحسب ،بل تتطلبها الإنسانية جمعاء ، من أجل السيطرة علي الماديات ، وتحقيق الإنسجام والتوازن في الكون . فالميتافيزيقا ليست مجرد تأملات فلسفية عميقة ، بل هي نقد أصيل لشتي القيم من أجل العمل علي تنظيمها فيما بينها بالنظر إلي الوجود الإنساني نفسه ، وهكذا نجد أن الإنسان لا يمكن أن يستغني عن الميتافيزيقا إلا إذا استطاع أن ينصرف عن الإهتمام بالقيمة ، ويبتعد نهائياً عن الإنسان نفسه .[٢٤٦]

فالفكر الميتافيزيقي فكراً قوياً متجذراً في الزمن متغلغلاً في التاريخ والمجتمع ، بحيث أننا لا نستطيع أن نتخلص من الميتافيزيقا مثلما نغير رأياً من آرائنا ، ولا يكفينا أن نعتنق الروح الوضعية كي نجد أنفسنا خارج الميتافيزيقا وعلي هامشها . فحتي الأسس التي يقوم عليها العلم والتقنية تظل متجزرة في الميتافيزيقا قائمة عليها ، والذي يسعي لأن يجعل من الإنسان كائناً يتفوق علي نفسه . كما أن الميتافيزيقا ليست مجرد وجهة من وجهات الفكر ، وليست فرعاً من البحوث الفلسفية ، وإنما هي حاضرة في مختلف الأشكال الثقافية التي عرفها الإنسان ، وبهذا ليست الميتافيزيقا مبحثاً في الوجود فحسب بل هي نمط من أنماطه كذلك ، علم يصبح معه الوهم حقيقة ، وحياة تحاول فيها أنواع من القيم أن تؤكد ذاتها .

كما أن الميتافيزيقا بوصفها بحثاً عن معني "الحقيقة " ترتبط مع الأدب والدين : لأن كل منهما يهدف إلي الغوص وراء الظواهر الموجودة أمامه ليسبر الحقيقة الكامنة وراءها ، ويمكن أن نقول إن صلة

---

[٢٤٦] راجع د . سامية عبد الرحمن / الميتافيزيقا بين الرفض والقبول / ص ٢٩ / ط أولي / ١٩٩٣ / مكتبة النهضة المصرية .

الميتافيزيقا بالأدب والدين أقوي من صلتها بأي فرع آخر من أفرع المعرفة البشرية ، لأن كل منهما يهتم بالحقيقة النهائية .[٢٤٧]

كما ترتبط الميتافيزيقا أيضاً بالفلسفة والعلم .[٢٤٨] وقد أقر ديكارت بأهمية التفلسف ، وضرورة البحث الميتافيزيقي ، حتي أنه يشبه الرجل الذي يمتنع عن التفلسف بمخلوق أعمي يسير معصوب العينين . يقول : "أن المرء الذي يحيا دون تفلسف لهو حقاً كمن يظل مغمضاً عينيه لا يحاول أن يفتحها ".[٢٤٩]

فنحن نتفلسف حين نفكر في العالم والآخرين والتاريخ البشري والحقيقة والحضارة ، وتبدأ الفلسفة حين يدرك المرء أن لمعظم أفعاله دلالة ميتافيزيقية ، ذلك أننا لو اقتصرنا علي النظر إلي الإنسان بإعتباره مجرد آلة تحكمها قوانين الطبيعة أو مجموعة من الغرائز لكان في هذا قضاء علي الفلسفة والميتافيزيقة .[٢٥٠]

من كل هذا نتبن ضرورة الميتافيزيقا وحاجتنا إليها ، والواقع أننا نشعر بحاجتنا إلي الميتافيزيقا كلما شـعرنا بنقص العلم بالظواهر الطبيعية ، وعدم قدرته علي سد حاجة الرغبات الإنسانية ، أو كلما شعرنا بالقلق وعدم الإطمئنان علي حياتنا ، وفي الإنسان رغبة طبيعية تحمل علي التفكير في طبيعة الوجود ، فعجز العقل البشري عن معرفة سر الوجود يجعله دائماً يتطلع إلي هذه الحقيقة الغائية المثالية في مقابل صورة هذا العلم الناقص الذي نعيش فيه .

وعلي هذا فالدعوة إلي إستبعاد الميتافيزيقا دعوي مقضي عليها بالإخفاق ، لأن الإنسان في جوهره واقعة ميتافيزيقية ، وبهذا لا يمكن أن

---

[٢٤٧] راجع د. إمام عبد الفتاح / مدخل إلي الميافيزيقا / ص ٤٩ اشراف عام داليا محمد ابراهيم / ط الأولي / نهضة مصر للطباعة والنشر / ٢٠٠٥م .

[٢٤٨] راجع د . ساميه عبد الرحمن / الميتافيزيقا بين الرفض والقبول / ص ١٧ ، ١٩ .

[٢٤٩] ديكارت / مبادئ الفلسفة / ص ٤٨ / ترجمة عثمان أمين / القاهرة / ١٩٦٠ م .

[٢٥٠] راجع د . سامية عبد الرحمن / الميتافيزيقا بين الرفض والتأييد / ص ١٧.

يكون المرء عدواً للميتافيزيقا وإلا كان عدواً لنفسه . ولقد ظن أوجست كونت والوضعيون في القرن الماضي أن إختلاف الفلاسفه فيما بينهم سوف يؤدي إلي القضاء نهائياً علي الفلسفة أو الميتافيزيقا والإكتفاء بالعلم ، فجاء القرن العشرين بالكثير من التيارات الفلسفية الجديدة ليؤكد حاجة العقل البشري إلي الفلسفة ، بدليل وفرة الإنتاج الفلسفي المعاصر ، وتعدد التيارات الفكرية ذات الطابع الميتافيزيقي .

وأخيراً نقول : " إن الموقف الميتافيزيقي هو ذلك الموقف الذي يتخذه الإنسان بالضرورة عندما يدرك أن العلم هو من خلقه ، وأن صلته أو علاقته بالوجود هي من نوع آخر غير ما تفترضه المعرفة الموضوعية ، وليس هناك في تاريخ الفلسفة أي تقدم مطرد ، بل هناك سرمدية مستمرة لنداء الوجود الذي يهيب بكل فيلسوف أن ينصت إليه وأن يستمع إليه ، ولابد لكل فيلسوف أن يعود إلي "الوجود "هذا الأساس الذي لابد أن تتأسس فيه الميتافيزيقا ، أو الأرض الخصب التي تمد شجرة الفلسفة " الميتافيزيقا " بالعصارة والقوة الازمتين لنموها ، ولابد أيضاً لكل فيلسوف أن يعود إلي" الذات "فإن ما تكشف عنه الميتافيزيقا هو دائماً "الإنسان "في علاقته بالوجود . والإنسان هو الكلمة النهائية للميتافيزيقا ، حيث أن له بعد رأسي هو الذي يجعل منه موجوداً ميتافيزيقياً .

إننا عندما نستبعد الميتافيزيقا - سواء بإسم العلم أو الإنسان – فكأننا نستبعد من الإنسان ماهيته ، أي قدرته علي التجاوز والعلو " .[٢٥١]

---

[٢٥١] د . محمود رجب / الميتافيزييقا عند الفلاسفة المعاصرين / ص ٣٢٣ / دار المعارف / ط الثانية / ١٩٨٦م .

نتائج البحث

كان هذا البحث عن موقف أوجست كونت من الميتافيزيقا ، بدأناه بتعريف لفظة الميتافيزيقا ، بأنها البحث عن العلل الأولي ، ثم قدمنا نبذه موجزه عن حياة أوجست كونت اتضح لنا من خلالها أنه أنكر الخالق وهو حدث لم يتجاوز الرابعة عشر من عمره .

واتضح لنا أيضاً أن فلسفة أوجست كونت قامت علي رفض الميتافيزيقا ، وعلي أن الفكر الإنساني لا يدرك إلا الظواهر المحسوسة في العالم الذي نعيشه . أما البحث وراء الظواهر الطبيعية عن علل لها خفية أو حكمة أو عناية أو فاعل مدير ، فهذه كلها أوهام وخرافات ما ينبغي أن يفكر فيها أحد ، لأنه لا يمكن إدراك شئ من ذلك ولا فائدة له في عالم الواقع . وقد ناقشناه من الناحية الدينية وتبين لنا أن فلسفة أوجست كونت تقف علي طرفي النقيض للإسلام ، من خلال إنكارها للميتافيزيقا وللحقائق المطلقة كالله والوحي والدين . كما تبين انا أيضاً أنها امتداد للمذهب السوفسطائي وأصحاب مذهب الشك عموماً حيث تصدوا جميعاً لهدم الميتافيزيقا .

هذا وبعد أن بينا ذلك كله يمكننا أن نسجل النتائج التالية :

١- أن فلسفة أوجست كونت فلسفة وضعية مادية إلحادية ، تقوم بالدرجه الأولي علي الفصل بين العالم الظاهر للعيان والغيبيات ، وحصر العلم والمعرفة في دراسة الأشياء الظاهرة بغرض إكتشاف العلاقات القائمة بينها ، في حين رد كل بحث في الأسباب البعيدة وحقائق الأشياء وما وراء الطبيعة ، معتبراً ذلك مجرد ميتافيزيقا عميقة .
٢- رفض أوجست كونت الميتافيزيقا التأملية ، وأنكر عالم الغيب علي الإطلاق ، وطعن في كل معرفة تأتي عن طريق الوحي ، لأنه لا يومن بوجود الموحي سبحانه ، أما الميتافيزيقا النقدية فعلي الرغم من أن اوجست كونت لم يفرق بين التأملية والنقدية إلا أن

الذي يبدوا لي من خلال البحث أن هذا النوع من الميتافيزيقا مقبول لدي أوجست كونت ، وهذا هو ما دعت إليه الوضعية المنطقية بعد ذلك .

٣- كان أوجست كونت مضطرباً عقلياً، حاول الإنتحار أكثر من مرة ، فهل يصدق العقلاء أن المضطربين عقلياً يمكن أن ينفعوا البشرية بإكتشافات علمية ؟ لقد أسس أوجست كونت خيالاً فكرياً ساقطاً يسميه الفلسفه الوضعية ، واجتهد في وضعها بعد أن كفر بالنصرانية بل كفر بجميع الأديان .

٤- إن كفره بالأديان كلها – في سنوات عمره المبكرة – جعله يمر بهذه المراحل المتخبطة في الحياة خرج بعدها إلي البشرية يبشرها بدين جديد صاغه – كما يزعم – في إطار علمي يدرس نظرياته ويعمل بتطبيقاته آلاف الآلاف من شباب الإسلام وأبنائه في كليات- تزعم التخصص – دون وعي بتهافته وانعدام ثمرته ، نقله إليهم أساتذتهم الذين بعثوا لإستيراد تلك المتهافتات تحت تأثير مخدر الهزيمة النفسية ، وكأنهم لم يعلموا أن ذلك المعتوه – وطلابه من بعده – لا يحمل إلا شذوذاً فكرياً ، صب فيه مزيجاً من شخصيته المضطربة وبعضاً من فلسفاته التي تعكس شذوذ المرحلة التاريخية التي عاش فيها .

٥- لا يؤمن أوجست كونت إلا بالقوانين ، ولا مكان في هذا المذهب للعناية الإلهية . وهذه هي الثمرة الوحيدة التي تجني من هدم الوضعية للمعايير اللاهوتية والميتافيزيقية ، وأن الإنسانية هي التي سوف تمحو فكرة الألوهية ، علي نحو لا رجعة فيه

٦- أنكر أوجست كونت الإله بناء علي قانون الحالات الثلاث ، الذي رأي فيه هذا المختل أن الحالة الوضعية هي أفضل الحالات علي الإطلاق .

٧- طبق أوجست كونت قانون الحالات الثلاثة أيضاً علي الدين ، فاعتبرالدين مرحلة في حياة الأمم ، وأن البشرية في العصر الحديث مضطرة لمواجهته لأنه يعوق عملية التحضر والإرتقاء ، لذلك ينبغي إقصاؤه تماماً من الحياة ، لكن كونت الذي أحس

بأهمية الدين في حياة الأفراد والمجتمعات عاد فاقترح علي الناس ديناً سماه : " الإنسانية " ووضع له كل التفاصيل التي جعلت منه ديانه حقيقية في نظر أوجست كونت ، وخلاصته أنه يجب أن نعمل لصالح كائن أعلي هو" البشرية "وبذلك نضمن خلودها وفي نفس الوقت نضمن خلودنا أيضاً عبرها ، وهكذا بدأ كونت فيلسوفاً وضعياً لكنه انتهي نبياً مبشراً .

٨- الدعوة إلي استبعاد الميتافيزيقا دعوة مقضي عليها بالإخفاق ، لأن الإنسان في جوهرة واقعة ميتافيزيقية ، فإذا استبعدنا الميتافيزيقا فكأنما نقضي علي الإنسان .

٩- الدين لا يتناقض مع العلم ، لأن العلم مؤمن ، وقد أثبت فريق من علماء أوربا بطلان دعاوي الوضعيين وكشفوا القناع عن أعين الناس الذين غرهم العلم التجريبي ، وما حققه من إنجازات ، فساروا خلف كل ناعق دون تمييز .

١٠- تبين لنا بمختلف الأدلة أن الإسلام هو المنهج الوحيد الذي يحقق سعادة الإنسان ، واستقرار نفسه وطمأنينيته ، وذلك بتلبية حاجات نفسه وروحه ضمن الحدود التي رسمها الله عز وجل ، وأن غيره من المناهج البشرية القاصرة ، لا يجني الإنسان من ورائها إلا التخبط والإضطراب والحيرة

١١- أن العقيدة الصحيحة هي العقيدة المستمدة من الكتاب والسنة ولا يلتفت إلي ما دون ذلك .

١٢- الميتافيزيقا التأملية المتعلقة بالله، من مظاهر العقيدة الإيمانية الممسك بها مؤمن والمنكر لها كافر .

١٣- لا تزال الأمة بحاجة إلي أن تتبصر لتعالج وتراجع كثيراً من تطبيقات العلوم الإنسانية الوضعية ، والتي استنزفت الأعمار والأوقات ولم يكن لها أي تأثير في إصلاح المجتمعات . لذلك لابد أن نعيد أبناء الأمة إلي أصول تلك الفلسفات ، ومنشأ تفكيرها لتدرك الحقائق وتسعي للتغيير ، وذلك بالرجوع إلي الإصلاح المجتمعي ، المبني علي منهج الكتاب والسنة الذي سنجد فيه معيناً لا ينضب .

١٤- فعلي المسلمين واجب عظيم ألا وهو: واجب الدعوة إلي دين الله تعالي ، وبيان ما فيه من عظمه ورفعة ، إلي جانب ما في المذاهب الوضعية القاصرة من ضلال وضياع ، ليأخذوا بيد البشرية إلي الفوز والفلاح في الدنيا والآخرة .

وإنني ابتهل إلي الله المولي القدير أن أكون قد وفقت في هذا البحث ، وأن يتقبله خالصاً لوجهه الكريم ، وأن ينفع به المسلمين .

المراجع

أولا : المراجع العربية

١- ابن القيم الجوزية / شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل / تحرير الحساني حسن عبد الله / مكتبة دار التراث .

٢- أبو الحسن علي الحسيني الندوي / الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية / دار القلم الكويت / ط الرابعة / ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م .

٣- أحمد أمين / زكي نجيب محمود / قصة الفلسفة اليونانية / ط الثانية / مكتبة دار الكتب المصرية .

٤- أحمد زكي بدوي /معجم العلوم الاجتماعية / مكتبة لبنان .

٥- آزفولد كوليه / المدخل إلي الفلسفة / ترجمة أبو العلا عفيفي / مطبعة لجنة الترجمة والنشر / ١٩٤٢

٦- ألكسيس كاريل / تأملات في سلوك الإنسان / ترجمة محمد القصاص / مكتبة مصر القاهرة / ١٩٦٨م .

٧- إلياس بلكار / الغيب والعقل دراسة في حدود المعرفة البشرية / المعهد العالمي للفكر الإسلامي .

٨- إمام عبد الفتاح إمام / مدخل إلي الميتافيزيقا / إشراف داليا محمد إبراهيم / ط أولي / نهضة مصر للطباعة والنشر / ٢٠٠٥م .

٩- إمام عبد الفتاح إمام/ الميتافيزيقا / دار القفافة للنشر والتوزيع .

١٠- اميل بوترو / العلم والدين في الفلسفة المعاصرة / ترجمة أحمد فؤاد الأهواني / الهيئة المصرية للكتاب . ١٩٧٣م .

١١- إمييل برهييه / الفلسفة الحديثة / ترجمة جورج طرابيش / ط أولي دار الطليعة للطباعة والنشر / ١٩٨٥ م / بيروت لبنان .

١٢- أندريه كريسون / تيارات الفكر الفلسفى من القرون الوسطي حتي العصر الحديث / منشورات بحر المتوسط / وعويدان بيروت / ط الثانية / ١٩٨٢م .

١٣- أنور الجندي / أخطاء المنهج الغربي الوافد / الموسوعة الإسلامية العربية (٦)/ دار الكتاب اللبناني / ١٩٨٢م.
١٤- أنور الجندي / معلمة الإسلام / دار الصحوه للنشر والتوزيع
١٥- بيرد كاسيه / الفلسفات الكبري / ترجمة جورج يونس / اشراف كمال يوسف الحاج / منشورات عويدات / ط الثالثة / ١٩٨٣م .
١٦- توفيق الطويل / أسس الفلسفة / دار النهضة العربية / القاهرة / ١٩٦٤ م .
١٧- جلال الدين السيوطي / معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية / دار الجنوب للنشر / ٢٠٠٤م .
١٨- جميل صليبا / المعجم الفلسفي / دار الكتاب اللبناني ودار الكتاب المصري / بيروت لبنان / ١٩٧٩م .
١٩- حامد ربيع الإسلام والقوي الدولية / دار الموقف العربي / القاهرة / ١٩٨١م .
٢٠- حجة الإسلام الغزالي / المنقذ من الضلال / بقلم عبد الحليم محمود / ط الثالثة / مكتبة الأنجلو المصرية / ١٩٦٢م .
٢١- د . سامية عبد الرحمن / الميتافيزيقا بين الرفض والقبول / مكتبة النهضة المصرية / ١٩٣٩ م .
٢٢- د . عبد الرحمن بدوي / موسوعة الفلسفة / ط أولي / الموسوعة العربية للدراسات والنشر .
٢٣- د . عثمان جمعة ضميرية / عالم الغيب والشهادة في التصور الإسلامي / مكتبة السوادي / جده / ١٤٠٨ه .
٢٤- د . عزت القرني / الفلسفة اليونانية حتي أفلاطون / جامعة الكويت / ١٩٣٩م .
٢٥- د . قباري محمد إسماعيل / علم الإجتماع والفلسفة / دار المعرفة الجامعية / ١٩٨٢م .
٢٦- د . محمد أحمد المعصراوي / الفلسفة الحديثة / مكتبة المعصراوي / فاس المغرب / ١٩٨٥م .

٢٧- د . محمد حسين موسي الغزالي / وميض النصانية بين غيوم المسيحية / مطبعة المرادلي / ط السابعة / ١٩٩٨م .
٢٨- د . محمود عوده / تاريخ علم الإجتماع / وطبعة دار النهضة العربية .
٢٩- د . مصطفي محمود / الله في الإسلام / طبع بمطبعة أخبار اليوم / قطاع الثقافة .
٣٠- د جمعة الخولي / الإتجاهات الفكرية المعاصرة وموقف الإسلام منها / ط أولي / ١٩٨٦م .
٣١- د محمد عبد الله الشرقاوي / مدخل نقدي لدراسة الفلسفة / ط الثانية ١٩٩٠م / دار الجيل بيروت .
٣٢- دكتور سليمان دنيا / التفكير الفلسفى الإسلامي/ مكتبة الخانجي بمصر / ط أولي / ١٣٨٧ه – ١٩٦٧م .
٣٣- ديكارت / مبادئ الفلسفة / ترجمة عثمان أمين / القاهرة / ١٩٦٠ م .
٣٤- ر.س زينر/ موسوعة الأديان الحية / ترجمة عبد الرحمن عبد الله الشيخ / الهيئة المصرية العامة للكتاب
٣٥- زكريا إبراهيم / الفلسفة الوجودية / دار المعارف مصر .
٣٦- زكريا إبراهيم / مشكلة الفلسفة / مكتبة مصر .
٣٧- زكريا عبد العظيم طلبا / الطوائف المسيحية في العلم المعاصر / مكتبة النهر الخالدة / ١٩٨٧م .
٣٨- زكي نجيب محمود / موقف من الميتافيزيقا / دار الشروق / ط الثانية / ١٤٠٣ه- ١٩٨٣م .
٣٩- زوني ايلي ألفا / موسوعة الأعلام الفلسفية / مراجعة جورج نخا / دار الكتب العلمية بيروت .
٤٠- سفر عبد الرحن الحوالي / العلمانية نشأتها وآثارها في الحياة الإسلامية المعاصرة / مؤسسة قرطبة للنشر والتوزيع / ط أولي / ١٤٠٢ه- ١٩٨٢م .
٤١- سيد قطب / في ظلال القرآن / دار الشروق بيروت / ١٩٧٣م .

٤٢- سيد قطب /خصائص التصور الإسلامي ومقوماته / دار الشروق / ط العاشرة / ١٤٠٨ه- ١٩٨٨م .
٤٣- الشيخ محمد عبده / رسالة التوحيد / تحقيق محمد عماره / دار الشروق / ط أولي / ١٤١٤ه- ١٩٩٤م .
٤٤- الشيخ مصطفي صبري / موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين / ط الثانية / ١٤٠١ه- ١٩٨١ م / دار إحياء التراث العربي .
٤٥- الشيخ نديم الجسر / قصة الإيمان بين الفلسفة والعلم والقرآن / منشورات المكتب الإسلامي / ط أولي / ١٣٨٠ – ١٩٦١م .
٤٦- الطاهر بن عاشور / التحرير والتنوير / المدينة المنورة / مكتبة العلوم والحكم / ١٩٨٨م .
٤٧- عباس محمود العقاد / الله في نشأة العقيدة الإلهية / منشورات المطبعة العصرية.
٤٨- عبد الباسط عبد المعطي / اتجاهات نظرية في علم الإجتماع / عالم المعرفة / ١٩٨١م .
٤٩- عبد الحليم محمود / التوحيد الخالص أو الدين والعقل / دار الكتب الحديثة .
٥٠- عبد الرحمن جلال الدين السيوطي / المذدهر في علوم اللغة / تعليق محمد أحمد جاد المولي / محمد أبو الفضل إبراهيم / علي محمد البيجاوي / ط الثالثة / مكتبة دار التراث .
٥١- عبد الرحمن حنبكة الميداني / العقيدة الإسلامية وأسسها / ط الثانية / دار القلم / ١٣٩٩ه- ١٩٧٩م .
٥٢- عبد السلام بنعبد العالي / ط الثانية / دار الطليعة / ١٩٩٣م .
٥٣- عبد المنعم خلاف / المادية الإسلامية وأبعادها / دار المعارف القاهرة .
٥٤- علي الطنطاوي / فكر ومباحث / مكتبة المنارة / ط الثانية / ١٤٠٧ه- ١٩٨٨م .

٥٥- علي عبد الواحد / الأسفار المقدسة / ط القاهرة .
٥٦- كريس موريس / العلم يدعو إلي الإيمان / ترجمة محمود صالح الفلكي / تقديم أحمد زكي / ط أولي / ١٩٨٦م. دار القلم بيروت لبنان .
٥٧- كرين برينتن / أفكارورجال / ترجمة محمود محمود / القاهرة / مكتبة الأنجلو المصرية .
٥٨- الله يتجلي في عصر العلم / تأليف نخبة من العلماء الأمريكيين / أشرف علي التحرير جون كلو فرمونسيما / ترجمة الدكتور الدمرداش عبد المجيد سرحان / تعليق محمد جمال الدين الفندي / دار القلم / بيروت لبنان .
٥٩- ليفي بريل / فلسفة أوجست كونت / ترجمة محمود قاسم / السيد محمد بدوي / ط الثانية / مكتبة الأنجلو المصرية.
٦٠- ماهر عبد القادر محمد علي / خرافة الوضعية المنطقية / دار المعرفة الجامعية / ١٩٩٤م .
٦١- محمد البهي / الفكر الإسلامي الغربي وصلته بالإستعمار الحديث / مكتبة وهبة / ط الرابعة .
٦٢- محمد باقر الصدر / فلسفتنا / دار المعارف / ط الثانية عشر / ١٤٠٢ه- ١٩٨٢م .
٦٣- محمد عبد الله دراز / الدين / دارالقلم / الكويت / ١٣٩٠ه- ١٩٧٠م .
٦٤- محمد عثمان الخشت / الدين والميتافيزيقا في فلسفة هيوم / دار قباء للطباعة والنشر
٦٥- محمد فتحي الشنيطي / المعرفة / مكتبة القاهرة الحديثة .
٦٦- محمد فريد وجدي / دائرة معارف القرن العشرين "الرابع عشر "/ ط الثالثة / دار المعرفة للطباعة والنشر / بيروت لبنان / ١٩٧١ م .
٦٧- محمد فريد وجدي / دائرة معارف القرن العشرين /
٦٨- محمد محمد أمزيان / البحث الإجتماعي بين الوضعية والمعيارية / المعهد العالمي للفكر الإسلامي .

٦٩- محمود رجب / الميتافيزيقا عند الفلاسفة المعاصرين / دار المعارف / ط الثانية / ١٩٨٦م .
٧٠- مصطفي الخشاب / علم الإجتماع ومدارسه / مكتبة الأنجلو المصرية / ١٩٨٣م
٧١- مصطفي حلمي / السلفية بين العقيدة الإسلامية والفلسفة الغربية / دار الدعوة للنشر والتوزيع / ط أولي / ١٤٠٣ه- ١٩٨٣م .
٧٢- مقداد يالجن/ فلسفة الحياة الروحية / ط الرياض / دار عالم الكتب / ١٤١٠ه .
٧٣- الموسوعة العربية الميسرة / المكتبة العصرية / ط أولي / ١٤٣١ه- ٢٠١٠م- صيدا بيروت .
٧٤- الموسوعة الفلسفية المختصرة / نقلها عن الإنجليزية فؤاد كامل / جلال العشري / عبد الرشيد الصادق / راجعها زكي نجيب محمود / دار القلم بيروت لبنان .
٧٥- هربرت ماركيوز / العقل والثورة / ترجمة فؤاد زكريا / ط الثانية / المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت / ١٩٩٧م .
٧٦- ول ديوورانت / قصة الفلسفة من أفلاطون إلي جون ديو / ترجمة فتح الله محمد المشعشع / ط السادسة / ١٤٠٨ه- ١٩٨٨م .
٧٧- وولترستيس/ تاريخ الفلسفة اليونانية / ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد / ط أولي / ١٤٠٧ه- ١٩٨٧م.
٧٨- يوسف كرم / تاريخ الفلسفة الحديثة / ط الخامسة / دار المعارف / مكتبة الدراسات الفلسفية .

ثانيا المراجع الأجنبية

1- **Ducasse tibrairie / methodee let / In tuition / Ches auguste Conte / par/ pierre / Felix / Alcan / Paris 1939.**
2- **Rayman Aron / Les etapes de la pensee sociolgique /edtion Gallimard 1966.**